



4

المرحلة الرابعة حل المشاكل والإحساس بالذات



ما الذي تعنيه هذه المرحلة

غالباً ما تكون هذه المرحلة خلال النصف الأول من السنة الثانية من عمر طفلكِ وعلى الرغم من أهميتها إلا أنها كثيراً ما تُهمل. إن الكثير من الآباء والأمهات يتوقعون إلى أن يروا قبلاات وضمات أطفالهم الأولى، ويحتفلون فيما بعد بالجمال الأولى التي ينطقونها ولا ينتبهون إلى تطورات تحدث عند أطفالهم قد تكون أقل ضجةً لكنها لا تقل أهمية.

إن طفلكِ القادرة على التواصل المتبادل والتي تتمتع بألعاب اختلاس النظر والوجوه المضحكة قد بدأت الآن تتعلم كيف تحل المشاكل. فهي تتعلم على سبيل المثال كيف تكسّر وجهها في تعابير مضحكة لتشدّ انتباهك عندما تريد شيئاً من المرح، وتعلم كيف تلتفت إليك وأنت تتحركين في اتجاه الثلاجة وتحثّكِ على إعطائها بعض العصير. وقد تردّد جملة من

الأصوات تدعوك فيها إلى غرفة اللعب وتدل على لعبة موجودة على رف عالٍ لا تستطيع الوصول إليه.

إن طفلك تكتسب القدرة على حل المشاكل في الكثير من مجالات حياتها فهي تملك الآن وسائل تمكنها من الحصول على ما تريد (زجاجة العصير أو اللعبة التي لا تستطيع الوصول إليها)، ومن اكتشاف الطرق التي يعمل فيها العالم المادي (تشير إلى مكان وجود والدتها إذا كانت في غرفة مجاورة أو إلى اللعبة المخفية تحت السجادة) ومن المرح أيضاً. إن طفلك تبدي في هذه المرحلة إحساساً بالفكاهة خاصاً بها فعندما يتبادل كل منكما القبعات المضحكة قد تقوم فجأة بنزع القبعة من على رأسها ووضعها على قدمها. على الرغم من أنها لم تترك تفعلين ذلك من قبل فإن ابتك الصغيرة قد تضحك مسرورة لأنها اكتشفت طريقة جديدة لارتداء القبعة. ستدرك طفلك أن احتياجاتها المختلفة واهتماماتها وسلوكها والأجزاء المختلفة من جسدها تجتمع كلها لتشكّل «الأنا» أو الشخص الكامل. إن إحساسها الحقيقي بذاتها يبدأ بالتشكل في هذه المرحلة.

سنرى في هذا الفصل كيف ستتمكن ابنتك من استخدام كل أنواع الدروس العاطفية والعقلية التي تتعلمها في هذه المرحلة لحل المشاكل. ربما لم تعيري هذه الناحية الكثير من الاهتمام في السنة الأولى من حياة طفلك لأنك كنت مشغولة بتأمين ما يسعدها، ولا شك أنك دُهِشت بقدرتها على مشاركتك العناق والقبلات والتعابير المضحكة. عندما تبدأ طفلك بتريد بعض الكلمات سيكون ذلك إنجازاً رائعاً إلى درجة أنك ستسبين أن ابنتك قد تمكنت من قبل من التواصل معك بطرق معقدة واستطاعت أن تكتشف كيف تعمل الأشياء معاً في أنماط. إن هذا التواصل والتعلم الغير لفظي سيشكّل الأساس الذي سيساعدها على النطق بالكلمات والتفكير والذكاء والمهارات الاجتماعية.

لأن الكثير من الأشياء الإيجابية - التي تتراوح ما بين القدرة على حلّ المشاكل العلمية إلى تطوّر الشعور بالنفس ليصبح أكثر تماسكاً - تحدث بشكل طبيعي خلال هذه الشهور فإن الفشل في حدوثها هو العلامة الأولى التي تدلّ على كثيرٍ من المشاكل. من خلال ملاحظتنا وأبحاثنا السريرية على الأطفال في هذا السن نستطيع اليوم أن نحدّد الأطفال الذين لديهم مشاكل كبيرة في استخدام اللغة أو صعوبات في التعلم أو الأطفال المصابين بالتوحد وذلك قبل فترة طويلة من السن الذي يُتوقّع أن يتكلّموا فيه بطلاقة. على سبيل المثال: وجدنا أن عجز طفل يبلغ الشهر الثامن عشر من العمر عن الانخراط في عملية حلّ مشكلة معقّدة - لنقل أخذ شخصٍ ما من يده والسير به إلى الثلاجة للحصول على طعام مفضّل أو إلى غرفة الألعاب لالتقاط لعبة مفضّلة - قد يكون علامةً على وجود مشكلة عند الطفل. لحسن الحظ يُبدي معظم الأطفال قدرة كبيرة على حلّ المشاكل، إن رغبتهم في اكتشاف العالم تجعلهم في حركة دائبة طوال اليوم.

معظم الآباء والأمهات يشاركون أولادهم الإثارة الكبيرة التي يشعرون بها عندما يخطون خطواتهم الأولى عادةً ما بين الشهر التاسع والشهر الثامن عشر من العمر. في الحقيقة أن بعض المناظر أكثر إثارة من منظر طفل يتعثّر في خطواته الأولى لكننا بسبب انشغالنا بقدرة الطفل الجديدة على السير نُهمّل أحياناً إنجازاتٍ تدلّ على تطوّر الطفل لا تقل أهميّةً عن السير. إن أطفالنا يستطيعون السير (بشكل معنوي) نحو الأشياء وبعيداً عنها ويستطيعون أخذ بعض الأشياء معهم أيضاً، فحتى قبل تعلم المشي تستطيع طفلتك أن تحصل على الأشياء التي تريدها وأن تعدّل من وضعيتها بحيث ترى الأشياء المثيرة بالنسبة لها. إن القدرة على حل المشاكل تعتمد على مهارة أساسية أكثر من مهارة رؤية الأنماط وتفسيرها. إن القدرة على فهم الأنماط هي التي تمكن الطفل من معرفة أنه إذا خطا خطوتين هنا وخطوتين هناك فسيصل إلى لعبته المفضّلة. يصبح الطفل ربّاناً ناجحاً في هذه المرحلة ليس بسبب قدرته

على التنسيق بين عضلاته وحسب وإنما أيضاً بسبب نمو دماغه وقدرته على فهم الأنماط. يتعلم الأطفال في هذه المرحلة كيف تؤدي غرفة إلى غرفة أخرى ويتعلمون أين أنت بالنسبة إليهم. إن باستطاعتهم أن يكتشفوا بشكل هادف العالم من حولهم قبل فترة طويلة من قدرتهم على التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم في كلمات.

لأن طفلك أصبحت تميز الأنماط فهي تتعلم الكيفية التي يعمل فيها العالم المادي أيضاً. على سبيل المثال إذا ضغطت مجموعة من الأزرار التي تسرع حركة لعبة ما، أو أدارت الزر الذي يزيد من صوت الموسيقى فإنها تتألف مع بعض من العدد اللامتناهي من الأنماط الموجودة في العالم المادي. فهي تستطيع مثلاً أن تصل إلى لعبة تبدو بعيدة عنها بجرّ كرسيّ وتسلقه. إنها تطوّر إحساسها ببعدها الأشياء أو قربها منها وبالتالي تشعر بالمسافات، وفي الحقيقة ستلاحظي أن طفلك قد تحصل بسرعة على الأشياء التي تبعد عنها خطوة أو خطوتين لكنها ستنتظر منك أن تجلب لها الأشياء البعيدة.

إن إدراك طفلك المتنامي للفراغ المادي سيساعدها أيضاً في علاقتها العاطفية معك. فعندما تبلغ السنة الأولى من العمر لا تريد طفلك أن ترى أين أنت فقط وإنما أن تشمك وتلمسك أيضاً. إنها تحتاج إلى الالتصاق الجسدي بك لكي تشعر بالقرب منك.

لكن عندما تبلغ الشهر الثامن عشر من العمر فإن نظراتك المحبة ستشعرها بالأمن وكأنها تجلس في حضنك. إنها تشعر بذلك لأنها تستطيع أن تفهم نمط ابتسامتك وتشعر بالقبول حتى من بعيد. إن نظراتها المتكررة إليك وانتباهها إلى صوتك سيساعدها أيضاً على الإحساس بالدفء والدعم. وعلى الرغم من أنها لا تفهم المعنى الدقيق لكلماتك إلا أن باستطاعتها أن تفهم صوتك المبهج الذي يعبر عن الإعجاب. عندما تقولين لها «ما أروع

برج المكعبات الذي بنيت» فإنك تطمئنينها على أن تفاعلك معها مستمر ولو كنت في الطرف الآخر من الغرفة.

من الواضح أن ابنتك لا تستطيع أن تحسب العدد الحقيقي للخطوات التي تفصل بينكما لكن لديها إحساس فطري أن في استطاعتك أن تكوني في جوارها خلال دقيقة. إنها تطوّر نوعاً من خارطة الطريق في عقلها تمكّنها من معرفة موقعها بالنسبة لك. حتى لو نظرت بعيداً عنك لفترة قصيرة أو لو أن شيئاً ما في الغرفة شتّت انتباهها فإنها ستعرف مكانك في الفراغ وسيشعرها ذلك باطمئنان كبير.

وهكذا تستطيع الطفلة التي تبلغ الشهر الثامن عشر من العمر أن تأخذ قطعة من الكاتو وتأكلها لوحدها. إنها تشعر بمتعة الاستقلال النسبي وهي تتجول بعيداً عنك في حين تلقى الدعم والتهئية بفضل تعابير الحب في وجهك ونبرة الدعم في صوتك. إن التوتر بين رغبة الطفلة في الاكتشاف (وبالتالي في الاستقلال نوعاً ما)، ورغبتها المماثلة في الراحة الناجمة عن الاعتماد على الآخرين هو أمرٌ حير الكثير من الباحثين لعدة سنوات. تعتقد مارغريت ماehler وهي إحدى أهم الرواد المبكرين في مراقبة الأطفال ومحاولة معرفة ما الذي يدور في عقولهم، أن حاجة الطفل للابتعاد عن والديه لكي يكتشف العالم من حوله لا تقل عن حاجته إلى الالتصاق بأمه وأبيه.

لقد قادتنا أبحاثنا الخاصة إلى نظرة مختلفة تماماً إلى ما كان يُعتقد أنه أحد معضلات الحياة الكبيرة، وهو الصراع بين الشعور بالأمن والاعتماد على الآخرين من جهة، وحب الاكتشاف والاستقلالية من جهة أخرى. إن إدراك الطفلة للأنماط وقدرتها على رؤية وسماع والديها المحبين والمشاركين لها ولو كانا بعيدين عنها سيوفّر لها إحساساً بالأمن سيمكّنها من اكتشاف العالم من حولها بثقة. إنها قادرة على البقاء محاطةً بدفء حبّ والديها حتى لو كانا بعيدين عنها. إن قدرة الطفل المتنامية على صنع أنماط معقدة تعطي حلاً

لهذه المعضلة، ولا شكَّ أنَّ من يعتني بالطفل يجب أن يُشارك في إرسال هذه الرسائل العاطفية عبر الفضاء لكي تتم هذه العملية بأفضل شكلٍ ممكن.

إنَّ قدرة الطفلة على خلق أفكار أو صور داخلية ستمكّنها فيما بعد من حمل صورة أمها أو أبيها داخل رأسها حتى لو كانا خارج مجال نظرها. إن ذلك يعطيها شعوراً بالأمن ينتقل معها حيثما ذهبت. عندما تستمر الطفلة في النضوج في السنوات التالية فإن إحساسها الداخلي بالدفء والأمن سيتطوّر إلى ذلك الشعور الذي يحسُّ به الكبار عندما ينفصلون عن شخصٍ يحبُّونه. على سبيل المثال: عندما يكون زوجك بعيداً عنك في رحلة عمل سيكون باستطاعتك أن تشعرى بدفء العلاقة بينكما في قلبك، ومع أنه قد يبعد عنك ثلاثة آلاف ميل إلاَّ أنك قد تنتظري حتى المساء لتسمعي صوته عبر الهاتف. إن باستطاعتك أن تعتمدى على مشاعرك وصورك الداخلية التي تربط بينكما عاطفياً. إن الأطفال الذين يعانون من صعوباتٍ في النظر أو السمع أو الإصغاء يواجهون تحدياً أكبر أثناء سعيهم لصنع ذلك الشعور بالأمن وهم بعيدون عن أمهاتهم وكغيرهم من الأطفال في هذا السن يجب أن يتطوّر عندهم شعورٌ دائمٌ بالأمن يحملونه معهم قبل أن ينطلقوا بثقةٍ لاكتشاف العالم من حولهم. والآن لديهم أحد الحواس التي لا يمكن الثقة بها والاعتماد عليها مثل الحواس الأخرى فإن مهنتهم أكثر صعوبةً لكن من الممكن تحقيقها في أغلب الأحيان.

على سبيل المثال: تحتاج الطفلة التي تعاني من صعوبة في السمع أكثر من غيرها إلى البقاء في تماسٍ بصري مع والديها عندما تبدأ بالتجول في المنزل. وعلى والدها ووالدتها أن يبذلا جهداً مضاعفاً لجعلها تلوّحهما لها وابتسامات القبول عامرةً بالحيوية حتى من مسافة بعيدة. وقد يكون من المفيد أن يقتربا منها بين حينٍ وآخر ويمنحاهما معانقةً سريعةً أو قبلةً على خدّها لكي تطمئن إلى أن اكتشافها للعالم لن يعزلها عنهما. أما الطفلة التي تجد صعوبة في استخدام حاسة البصر فسوف تستفيد من سماع الكثير من

الكلمات والأصوات المشجعة وكذلك اللمسات والروائح. وفي الحقيقة نحن غالباً ما نوصي بالقيام بالألعاب ممتعة تمكّن الأطفال الذين لا يرون جيداً من تحديد مواقع الناس والأشياء باللمس والأصوات والروائح، وهكذا يصبح باستطاعتهم أن يرسموا في أذهانهم صورةً حسيّةً لمنازلهم وإن كانوا لا يستطيعون الرؤية جيّداً. إن ذلك الشعور المهم بالفراغات وبالأبعاد الذي نحتاجه لكي نشعر بالأمن ولكي نجد طريقنا يمكن أن تشكّله الكثير من حواسنا وليس حاسة البصر فقط.

لنلقِ نظرةً عن قربٍ على المهارات التي تستخدمها طفلتكِ في حلّ المشاكل. لنفترض على سبيل المثال أنها رأت لعبة مفضّلة لديها موضوعة عالياً على الرفّ وبدأت تطلب مساعدتك للحصول عليها باستخدام طيفٍ كاملٍ من الإيماءات التي يتبع بعضها بعضاً بشكلٍ منطقي. ربما تتجه إلى رفّ الألعاب ثم تتوقّف وتُنظر إليك. باستطاعتكِ أن تهزّي رأسكِ وتقولِي «أراهن أنك تعرفين ماذا تريدين» ستلتفت وتشير إلى اللعبة بإصبعها الصغير وهي تهمهم بإثارة. إذا قلتَ لها «هذا صحيح» قد تمدّد يديها باتجاه اللعبة التي تريدها وسوف تكافئنيها على جهودها بوضع اللعبة بين يديها وحتماً سوف تتلقّين بالمقابل ابتسامة عريضة منها.

إن حوارات من هذا النوع تبيّن المهارات التي اكتشفتها ابنتكِ للتعبير عن رغباتها وحلّ المشاكل التي تعترضها. لقد بدأت هذه المهارات بالتشكّل من خلال الإيماءات المتبادلة التي كنتِ تشاركينها إياها قبل شهورٍ قليلة فقد شعرت طفلتكِ منذ تلك الفترة أن ابتسامتها قد تسبّب ابتسامة مقابلة منك وأنّ الأصوات الحلوة التي تُصدرها ستدفعكِ إلى الاستجابة لها بأصواتٍ مماثلة. لقد أدركت بالتدريج أنها كائنٌ منفصلٌ عنكِ وأنّ سلوكها قد يؤثر على سلوككِ.

على كلّ حال إن طفلتكِ الآن قد أصبحت أكثر إدراكاً للأنماط الأكبر -

ليس فقط الأنماط الفراغية وإنما أيضاً أنماط السبب والنتيجة والتتابع المتوقع. إن باستطاعتها الآن أن تتخيل ما هو أكثر من القبلية المفردة أو الابتسامة أو المناغاة. إن باستطاعتها أن تتخيل سلسلة كاملة من العناق المتبادل والقَبَل والضمَمات وتعابير الرغبة التي تعبر من خلالها عن حبها لأمها. إن هذه المهارات التي تُمكنها من تمييز وصنع الأنماط واستخدامها في حل المشاكل سوف تجعلها أكثر إدراكاً لقوة ابتساماتها. إنها تعلم الآن أن ابتسامتها في وجهك أو في وجه أبيها أو موظف محل البقالة أو جدتها ستؤدي في كل هذه الحالات إلى الردّ بابتسامة مقابلة.

ولأنها تستطيع تمييز الأنماط فإن ابتك الصغيرة تعلم أنك (الأم التي تبتسم لي غالباً إلا عندما أهرّب منها) و(الأب الذي يحب أن يلعب معي ويدغدغني بلحيته الخشنة إلا عندما يكون غاضباً من أمي). إن ابتك تبدأ الآن بتحويل رغباتها وأمانها إلى خطط تستخدم فيها عضلاتها وإيماءاتها (إذا نظرت باتجاه أمي وأشرتُ إليها وابتسمتُ وجعلتها ترى أنني أريد مساعدتها فربما تستطيع مساعدتي في الوصول إلى لعبتي المحببة) وباستطاعة طفلك أيضاً أن تقوم بسلسلة متواصلة من الأفعال المتفرقة في محاولة منها للحصول على ما تريده. إن هذه القدرة على تنظيم عدة أفعال متتابعة في شكل نمط (ويسمى أيضاً التخطيط الحركي)، يساعدها على الشعور المتزايد بالقدرة على الإصرار. ستكون طفلك مشغلة باكتشاف أنماط من السلوك تؤدي إلى حصولها على الألعاب التي تريدها أو الطعام الذي تحبه أو العناق والقبلات التي تُشعرها بالأمن والحب. إنها لم تعد تعتمد على تخميناتك فيما يتعلق برغباتها فهي تستطيع الآن أن تطلب مساعدتك لتحقيق أهدافها.

في فترة قصيرة معجزة انتقلت طفلك من كونها مجرد رضيعة تتعلم معنى الابتسام، إلى طفلة تستطيع أن تخطط لعملٍ مكوّن من عشرة إلى ثلاثين خطوة لدفعك إلى مساعدتها في الحصول على ما تريده. إن قدرتها على استخدام طيفٍ كاملٍ من الإيماءات غير اللفظية - الزحف أو المشي أو

الإشارة أو الإمساك أو التصويت أو التسلُّق - قد أصبحت متطوِّرة إلى درجة تمكُّنها من وضع هذه الإيماءات مع بعضها واستخدامها بطريقة فعّالة .

عندما تشعر طفلك بالعطش على سبيل المثال تستطيع أن تقودك خطوة خطوة إلى الشلاجة بدلاً من أن تبكي أو تشدَّ كمك بدون هدف واضح وعندما تفتح باب الشلاجة ستشير إلى علبة العصير . إن ما يدفعها إلى كلِّ هذه التصرفات المترابطة هو رغباتها القوية وعضلاتها المتناسقة وقدرتها على تنظيم سلوكها .

إنَّ ابنتك التي تتواصل معكِ بطرقٍ تزداد تعقيداً (مع أنَّ التواصل لا يزال غير لفظي) سوف تبدأ بتعلُّم الأنماط العاطفية والاجتماعية التي يمكن أن تتوقعها منك . على سبيل المثال سوف تلاحظ ابنتك أيَّ تصرفات ستُكسبها عنقاً أو قبلاً وأيَّ تصرفات يمكن أن تقابل بصوتٍ غاضبٍ أو بهزِّ الكتفين .

عندما تأتين أنتِ أو زوجكِ من العمل ، وترى ابنتكما نظرة المرح في عيونكما أو تسمع نبرة السرور في صوتيكما فإنها ستدرك أنها شاهدت مثل هذه الملامح من قبل ، وستتوقَّع بعض اللعب والمرح معكما وقد تحمل حقيبتكِ بشقاوة ، وتضحك لوحدها لأنها تعلم أنك قد تلعبين معها لعبة (التقطيني إن كنتِ تستطيعين ذلك) . بالمقابل إذا كنتِ تأتين إلى المنزل مقطَّبة الحاجبين وتلقيين بنفسكِ على الأريكة وعلائم الإنهاك تبدو عليكِ ، فإن ابنتكِ ستتميَّز نمطاً مختلفاً من السلوك وسوف تنسحب بعيداً عنكِ . إن هذه التوقعات العاطفية والاجتماعية ستؤدِّي إلى نشوء شعورٍ جديدٍ بالذات . عندما تحدِّث الطفلة نفسها قائلةً : «إنني أجيد إرسال المعانقات والقبلات» أو «إنني قادرة على حمل والدي على الابتسام» أو «أكون أقرب إلى أمي عندما يغضب والدي ويصبح صوته مخيفاً» فإن كل هذه الأجزاء من الشعور بالذات سوف تجتمع لتشكِّل مفهوم الـ (أنا) عند الطفلة . إنها تكوِّن تعريفاً أكثر وضوحاً عن

الذات اعتماداً على الطريقة التي تتفاعلين بها مع مبادراتها. سنبين لاحقاً في هذا الفصل كيف ستميز ابتك أن كل الأجزاء المنفصلة من الذات - أنا الغاضبة) وأنا (التي تعانق) وأنا (التي تحب) وأنا (الشاكية) - هي أجزاء من شخص واحد.

ستطور ابتك أيضاً إحساساً بما يمكن أن تتوقعه من الآخرين. فإذا كان الأب والأم دافئين ومحبين في معظم الأوقات فإنّ الطفلة ستعتقد أن الأشخاص الآخرين يمكن أن يكونوا مثلهما أما إذا كان والداها مُشتتين وباردين في التعامل معها فستعتقد أن بقية الناس لا يهتمون بها أيضاً أو بالعكس تصبح أكثر التصاقاً بالآخرين لتضمن بقاءهم قريبين منها.

في هذه المرحلة لا يكون الطفل قادراً على التفكير (أوه، أتمنى لو أنّ (أبي) أو (أمي) كانا أكثر مني قرباً) أو الشعور بأنه مغبون عاطفياً. ببساطة سيعتبر الطفل أنّ تلبية أمّه وأبيه لحاجاته لبعض الوقت فقط هي قاعدة عامة وستصبح جزءاً من الطريقة التي ينظر بها إلى العالم. إن كثيراً من الصفات التي يحملها الكبار تنشأ من التوقعات - أو نقص التوقعات - التي تتطور عند الطفل في هذه المرحلة.

ستكوّنين في هذه الفترة فكرة أكثر وضوحاً عن النمط الخاص بطفلتك. هل هي شجاعة ومغامرة؟ هل تسعى إلى الاستقلال عن الآخرين؟ هل هي ملتصقة بك ولا تشعر بالراحة والأمن إلاّ عندما تكون بين ذراعيك؟ هل تتصف بالإصرار أم بالرفقة؟ هل هي عاطفية أم عقلانية؟ إنّ كل الصفات العاطفية تنشأ في هذه الفترة - الاستقلالية، التصميم، القدرة على التقارب في المفاوضات، الفضول، الحاجة إلى الاكتشاف، المتعة، القدرة على التعامل مع العوائق والمحبطات - إنّ أحد مهامك الرئيسية خلال الأشهر القليلة القادمة هي أن تساعد طفلك بشكل فعّال على تشكيل سلسلة معقّدة من التفاعلات لا تمكّنها من اكتشاف العالم المحيط بها وحسب وإنما تمكّنها من

اكتشاف مشاعرها الداخلية أيضاً. في الحقيقة ستكون مهمتك خلال هذه الأشهر وكأنك تعلمين طفلتك لعبة (احزر الكلمة من خلال تمثيلها) ولكن القاعدة هنا تسمح باستخدام الكلمات والأصوات على حد سواء. ستتعلم طفلتك بمساعدتك كيف تستخدم طيفاً واسعاً من الإيماءات والكلمات بطريقة منطقية للتعبير عن مشاعرها ورغباتها وحاجاتها. قد تلتقط المعلومات من إيماءاتك البصرية أو من نمط ونبرة صوتك ومن غيرها من طرق التواصل التي تستخدمينها. إن سلوكها في هذه المرحلة سينقل رسائل كاملة وليس مجرد طلبات أو أوامر بسيطة كما كان الأمر عندما كانت في الشهر السابع من عمرها. فبدلاً من أن ترفع يديها إليك فكرة أنها تريد الخروج، تستطيع ابتك ذات السبعة عشر شهراً أن تمشي إلى أقرب باب وتدير المزلاج وتفتح الباب ثم تنظر باتجاهك مطلقاً بعض الأصوات، عندما تقرأين أصواتها ولغة جسدها وتستجيبين لها فإنك تشجعينها على استخدام عضلاتها وحواسها لنقل الأفكار المعقدة.

بعد أشهر كثيرة من الآن ستوسع طفلتك من استخدامها للغة المحكية وستعتمد على الجمل كطريقة سريعة للتعبير عن رغباتها. ستمكّن من فعل ذلك لأن لديها تجربة ناجحة في نقل رغباتها وحاجاتها إليك. عندما تبلغ السنتين من العمر ستعلم طفلتك أنها عندما تقول «أحبك» فإن هذه الكلمة تلخص كل التصرفات التي تعبر عن حبها لك كالعناق والقُبْل والنظرات والتربيات.

سوف تتفهم طفلتك في النهاية معاني الكلمات المجردة مثل كلمة «حب» لأنها جربت نمطاً كاملاً من السلوك الذي يُعتبر جزءاً من الحب. وسوف تكتشف تصرفات أخرى تعني الحب أيضاً كمساعدتك لها على التعافي من الإحباط أو البقاء بقربها حتى عندما تكون غاضبة. إنها تعلم كل شيء عن الغضب والدفع والإحباط والفضول والتصميم لأنها تفاعلت معك حول هذه المعاني. إذا تفهم الفكرة أولاً من خلال الفعل ثم تأتي الكلمات

كعناوين للأفكار المفهومة. ستتعلّم طفلك أن الحبّ يمكن الشعور به كما تشعر بالإحساسات على مستوى جلدها وعضلاتها.

ما الذي يجب الانتباه إليه في هذه المرحلة

ذكرنا أن سلوك الطفل خلال ستة أو ثمانية أشهر يصبح أكثر تعقيداً فمثلاً قد يبدأ حواراً بالنظر إليك أولاً ثم يرفع يديه باتجاه رف الألعاب (يفتح دائرة تواصل). قد تديرين رأسك وتشيرين إلى لعبة بقرة موضوعة على الرف وتقولين «هذه؟» قد يستجيب طفلك ويغلق دائرة التواصل بهزّ رأسه أو بمدّ يديه باتجاه اللعبة.

قد يقوم طفلك باكتشاف اللعبة أكثر من ذلك فيمضغ جزءاً منها أو يحاول حكّها بيده أو إدخال إصبعه فيها، ربما تساعدينه على وضع اللعبة على يده أو التقاط لعبة مجاورة على شكل خروف. وقد تتبادلين معه أصوات الحيوانات بمرح وقد يتطوّر اللعب إلى ضحكات ودغدغات مشتركة فيما بينكما. بعد فترة قد يمسك بلعبة أخرى ويقفز صعوداً وهبوطاً وهو يصدر أصواتاً مختلفة فتقومين بتقليده بهزّ جسمك وتصدرين أصواتاً مشابهة لأصواته. وهنا قد يقلّد بالمقابل نبرة صوتك أو الطريقة التي تهزّين بها جسمك، وإذا ازدادت حماساً قد تزحفين لتري إن كان طفلك ولعبته سوف يتبعانك.

لقد تبادلتِ إلى الآن عشرات الإيماءات مع طفلك. وقد انتقلت من قدرتها على فتح وإغلاق القليل من دوائر التواصل إلى قدرتها على فتح وإغلاق حوالي ثلاثين دائرة متتابعة من دوائر التواصل، وهذه علامة مطمئنة على أن طفلك تتحرّك نحو الأمام بشكل طبيعي في طريق تطوُّرها. إن هذه السلاسل الطويلة من الإيماءات المتبادلة والمتتابعة تعكس قدرة طفلك المتنامية على تنظيم سلوكها في أنماط وعلى تمييز أنماط الآخرين أيضاً.

إذا لم يزدد انخراط الطفل في تفاعلات معقّدة مع تقدّمه في العمر فإنّه

يحتاج إلى تقييم كامل. إن مشاكل التواصل أو المشاكل الحركية أو الصعوبات الاجتماعية أو العاطفية يمكن أحياناً أن تؤثر على تعلّم الطفل للطريقة التي يستخدم بها الإيماءات لحلّ المشاكل.

راجعى طبيب الأطفال إذا لم تلاحظي زيادة في مدّة ومساحة التفاعل بالإيماءات بينك وبين طفلك حين تبلغ الشهر الثامن عشر من العمر. عندما تتفاعل طفلك معك بطرق معقّدة فإنها تستخدم بشكلٍ فعّال عدداً من الإيماءات بما في ذلك الإيماءات التالية:

- ألعاباً اجتماعية تفاعلية تشمل المزاح والتعاون والتمرد.
- أصواتاً متبادلة وحتى كلمات متبادلة في نهاية هذه المرحلة.
- تبادل الإيماءات العاطفية بما في ذلك تعابير الوجه المصطنعة.
- تبادل اللمسات.
- حركات تفاعلية في الفراغ (ألعاب الخشونة والسقوط).
- الأنماط الحركية التفاعلية (الأخذ والعطاء، المطاردة، البحث، التسلّق، ألعاب التقليد).
- التواصل عبر الفراغ (ويشار إليه بالتواصل عن بُعد) وهو يتطوّر من التواصل القريب المبكر الذي يستخدم الطفل فيه اللمس والإمساك وما شابه ذلك.



في نهاية هذه المرحلة يستطيع معظم الأطفال أن يحافظوا على تواصلهم البصري أو السمعي لفترات قصيرة مع من يعتني بهم حتى ولو كانوا بعيدين عنهم. على سبيل المثال يمكن لطفلة في الشهر السادس عشر من عمرها أن تدقّ بسعادة على الأواني الموجودة في المطبخ وأن تخاطب أمها بالأصوات ولو كانت في غرفة العائلة المجاورة. وعندما تردّ عليها أمها فإنّ الطفلة تستجيب بإصدار الأصوات واللعب دون الحاجة إلى أن ترى أو تلمس والدتها. إنّ باستطاعتها أن تُغلق دائرة التواصل التي فتحتها عن بُعد.

إن هذه القدرة على التواصل عن بُعد هي إحدى أهم العلامات التي تميّز سلوك الطفل عندما يبلغ الشهر الثامن عشر من عمره.

ألعاب التقليد

عندما تصبح طفلتك قادرةً على تقليد سلوكك فإنها تريك أن باستطاعتها أن تربط بين الأشياء التي تراك أو تسمعك وأنتِ تفعليها والأشياء التي تقوم هي بفعلها. إنها قادرة الآن على استيعاب أنماط معقدة من السلوك وحفظها ثم تنظيم استجاباتها لهذه الأنماط.

قد تندهشين عندما ترين طفلتك وهي تلتقط سماعة لعبة التلفون الخاص بها وتقوم بغضب بإقفال الخط في وجه الشخص الآخر مقلدة ببراعة تصرفك في الليلة الماضية عندما قاطعتك جرس الهاتف للمرة الثالثة وأنت تتناولين غداءك. إن التقليد يساعد الأطفال إلى حد كبير على تعلّم الأنماط الاجتماعية الجديدة والأصوات وفي النهاية ستكون ذات فائدة عظيمة في تعليم الكلمات للطفل.

باستطاعتك أن تساعد طفلك على التقليد بعدة طرق، منها مثلاً أنك إذا رأيت الطفل يتجه إلى الباب ويدق عليه وكأنه يقول (افتحوا)، أظهري له أنك تحاولين فتح المزلاج ولاحظي إن كان سيحاول تقليدك وفتح الباب بنفسه. إذا كان طفلك غير قادر جسدياً على إدارة المزلاج باستطاعتك أن تديري يدك وأنت تقفين بعيداً عن الباب لتتقلي له معنى كلمة افتح، وما أن ينجح في تقليد حركاتك سيكون بإمكانك أن تشاركه في فتح الباب وأنتِ تقولين «هيا بنا نفتح الباب، حسناً» بهذه الطريقة سيكون التقليد جزءاً من التواصل المركّب والروتيني والهادف فيما بينكما. إذا لعبت مع طفلتك لعبة التقليد بحيث تلمس أنفها عندما تلمسين أنفك وترفع يديها عالياً عندما ترفعين يديك فإنها سوف تتمتع بالتصرّف مثلما يتصرّف أبوها أو أمها. إن الرقص أو القفز مع طفلك يمكن أيضاً أن يحمل الكثير من المعاني. فإذا

أدرت المذيع وبدأت بالرقص والقفز فإن طفلتكِ سوف تمتصُّ بسرورِ المرحِ الناجم عن تقليدكِ. أن يكون الطفل مثل أمّه أو أبيه (يلمس أنفه، يرفع يديه، يرقص على نغمات المذيع) وأن يشعر بسعادة كبيرة أثناء ذلك هو أمرٌ لا يقلُّ في أهميته عن قدرة الطفل على تقليد والديه.

أحياناً، يكون من الصعب أن تدفعي الطفل لتقليدكِ إذا كان يعاني من مشكلة في تنظيم استجاباته الحركية. سيشاهد هذا الطفل معصمكِ وهو يشنّي أو ذراعكِ وهي ترتفع لكنه لن يكون قادراً على تقليد هذه الحركات. لا شك أنك ستتعاطفين معه وهو يعاني من هذه الصعوبات، إذا فكّرت كم استغرقت من الوقت لتتعلّمي ضربة الغولف أو لعب التنس أو رقصة الماكارينا!

بعض الناس يستطيعون تقليد إيماءةٍ مرّبة بعد رؤيتها مرةً واحدة فقط، والبعض الآخر يحتاج إلى تفكيك هذه الإيماءة إلى عشر خطواتٍ صغيرة ومع ذلك يظلُّ تقليدها صعباً عليهم.

بشكل مشابه يجد بعض الأطفال تقليد الأصوات أمراً سهلاً في حين يجد أطفالٌ آخرون صعوبةً في ذلك. ولأن الإنسان يميل إلى تجسُّب الأفعال الصعبة فإنّ هؤلاء الأطفال قد يبتعدون عنكِ أو يتجاهلونكِ إذا حاولت تعليمهم سلوكاً يصعب عليهم تقليده. إنّ أفضل طريقة لإثارة اهتمامهم بتقليد الأنماط الحركية المعقّدة هي أن تبدأي معهم بأنماطٍ قد تعلّموها من قبل.

لنقل أنّ طفلتكِ عداءة جيّدة حاولي أن تبدأي لعبة التقليد معها بكثير من الركض، إذا كانت تريد الاتجاه إلى الباب اركضي معها إليه. إذا لاحظت أن طفلتكِ تحبُّ أن ترفع يديها وتطلق أصواتاً اجعلي ذلك لعبة التقليد الأولى معها. كما ذكرنا سابقاً إبدأي دائماً من نقاط القوّة عند طفلتكِ، إبدأي بالأفعال التي تستطيع أدائها بشكل تلقائي واجعليها خاضعةً لتحكّم الطفلة عن طريق جعلها جزءاً من لعبة تقليدٍ ممتعة.

إن سلوك التقليد مهم جداً في هذه الفترة من تطوُّر الطفلة لأن التقليد يُمْكِنُ الطفلة من اختصار الوقت اللازم لاكتساب أنماط سلوكية معقَّدة. تستطيع الطفلة أن تتعلَّم الكثير من الأمور بسرعة كبيرة كأن تتعلَّم أنماطاً بأكملها بدلاً من تعلُّم القيام بالكثير من الخطوات الصغيرة المتتابة. عادةً ما تزداد هذه القدرة في السنة الثانية من العمر وتصل ذروتها ما بين الشهر الرابع عشر والثامن عشر من عمر الطفل.

كيف ينقل التقليد العواطف

لن يمضي وقت طويل قبل أن يكون في استطاعة طفلتك أن ترتدي قبعة القشَّ الخاصة بك، وأن تحمل محفظة نقودك وتتجوَّل في المنزل بابتسامة عريضة على وجهها وهي تنتظر منك ضحكات السرور. لقد ميَّزت سلوكاً يقوم به الكبار ثمَّ قلَّدته وهي واثقة أنها ستجني بذلك رؤية السرور والإعجاب على وجهك. وهكذا تبدأ الطفلة باكتشاف قدرتها على صنع مشاعر معيَّنة عند الآخرين. فهي الآن لا تنتظرك لكي تبدي مشاعر السرور بل تنظِّم أفعالها بطريقة تحرُّض مشاعر السرور عندك.

إذا شعرت طفلتك بالحاجة إلى القرب منك على سبيل المثال سوف تقترب منك بذراعين ممدودتين طالبةً العناق، أو ستلعب بشعرك بنفس الطريقة التي يداعبك بها زوجها، عندما تجيبنها بالعناق وتشعرين بعصايتها وهي تسترخي بين ذراعيك فإن دائرة التواصل التي نجحت فيها طفلتك بطلب الحبِّ منك والحصول عليه تكون قد أغلقت. كذلك سيدهشك تعامل طفلتك مع الغضب أو الانزعاج بأنماط سلوكية تبدو وكأنَّها مألوفة بالنسبة لها. فقد تصرخ في وجهك أو تحاول إغلاق الباب بقوة أو تبتعد بسرعة عنك تماماً كما فعلت مع زوجها قبل خمس دقائق. صحيح أنها قد تفعل ذلك في البداية من باب التقليد المحض لكنها ستستخدم هذه الأنماط فيما بعد عندما تنفعل، أي أنها ستستخدم هذه الأنماط السلوكية للتعبير عن

مشاعرها كما أنها قد تعدّل فيها وتبتكر أنماطاً خاصةً بها. سيكون باستطاعتها تنظيم أفعالها للتعبير عن المشاعر التالية:

السرور والإثارة: عندما تلعبين مع طفلتكِ بلعبةٍ جديدةٍ أو تشاركِنها المزاح وهي ترتدي قبعتكِ وحذاءكِ فإنها ستستخدم قدرتها على ربط الإيماءات مع بعضها لكي تجلب السرور إلى نفسها. سوف تحاول أن تشدّ نظرك لتشاركِها البهجة وغالباً ما ستشجّعها استجابتك على تبادل المزيد من الإيماءات معكِ.

التصميم: عندما تشاركين طفلتكِ في اكتشاف المنزل ستشعر بقدرتها على الاستقلال وفعل الأشياء لوحدها. في البداية سوف تقومون بتفحص الأشياء الجديدة معاً ولكن عندما تبلغ طفلتكِ الشهر الثامن عشر من العمر سيكون بمقدورها أن تصبح أكثر استقلالية في اكتشافاتها، وستتعلم توزّع المناطق المألوفة في المنزل وقد تذهب إلى زاوية بعيدة في الغرفة لتدير زرّ الكهرباء بالطريقة التي تقومين بها بذلك وهي تطلق الأصوات أو تنظر إليك من حينٍ إلى آخر.

هناك مؤشّر آخر على قدرة طفلتكِ الجديدة على تقليد وابتكار «خطط الأفعال» وهو انهيارها بألعاب المكعبات والصور المجزأة. سيدفعها إلى ذلك رغبتها في اكتشاف العلاقة بين الأشياء وكيف يمكن أن تناسب بعضها بعضاً. إنّ باستطاعتها الآن أن تنسّق حركات عضلاتها الكبيرة وتتجول في المنزل من غرفةٍ إلى أخرى ثم تعود إليك وكذلك باستطاعتها التحكّم في عضلاتها الصغيرة وتقليد الأنماط التي تعلّمتها فعلى سبيل المثال إذا رأيتكِ تضعين المكعبات فوق بعضها لتشكيل برجٍ ستقلّدك وتحاول وضع مكعبين أو أكثر فوق بعضهما.

عندما تبلغ طفلتكِ الشهر الرابع عشر من عمرها سيكون بإمكانها أن تلتقط مثلاً وتحاول إدخاله في الفراغ المناسب له حتى تنجح في ذلك. من

المدهش أن طفلك بدأت تمارس في هذا السن التفكير العلمي! إنها تميز الأنماط وتبحث عن حلول للمشاكل التي تعترضها (البحث عن فراغ يناسب المثلث)، وقد تُظهر أيضاً قدرتها على التنسيق بين عضلاتها الكبيرة والصغيرة معاً بمحاولتها أخذ قطعة من كعكة الزنجبيل الموضوعة في صحن على رف المطبخ. إن وحشتك الصغيرة الآكلة للحلوى ستخطط لهجوم محكم يتضمن سحب كرسي إلى القرب من رف المطبخ ثم الصعود عليه للوصول إلى صحن الكعكة وأخذ قطعة منها، إنها تريك بذلك علامة أخرى تدل على قدرتها على حل المشاكل.

القرب: تتمتع طفلك بتبادل العواطف وسوف تغرقك بقبلها وعناقها عندما تشعر بالحاجة إلى القرب منك، وسوف تصبح أكثر جاذبية وهي تتعلم كيف تستخدم أنماط الغزل التي تعلمتها منك. ستطور طفلك بواسطة التقليد طيفاً كاملاً من تعابير الوجوه - يتراوح ما بين توسيع العينين عند الشعور بالإنارة إلى نظرات التحرش - مما سيخلب لبك ويجعلك رهن إشارتها.

الغضب: في البداية ستلوح طفلك بذراعيها أو ستقطب حاجبيها أو تصيح في وجهك عندما تشعر بالغضب بعد فترة قصيرة ستستخدم حركات أكثر تنظيماً أو ستقلد نمط التعامل مع الإزعاج بضرب الأرض بيديها أو أن تصيح عليك بعد صياحك عليها.

في نهاية هذه المرحلة من مراحل التطور سيكون باستطاعتها التعبير عن غضبها بعدة طرق. فقد تعض أو تضرب أو ترمي الألعاب أو ترمي بنفسها على الأرض أو تصيح بشكل هستيري أو حتى أنها قد تشيح بوجهها عنك تعبيراً عن غضبها. قد تجمع طفلك بين الأنماط المقلدة والمبتكرة للتعبير عن غضبها - تقطيب الحاجبين، الصياح، القرض، الركض - بطريقة متصاعدة من الغضب، سيكون بين يديك مادونا صغيرة حقيقية.

طيف واسع من الإمكانيات الجديدة.

هناك طريقة أخرى تظهر فيها طفلتك قدرتها على تنظيم سلوكها وهي شعورها بالأصالة والذي تعبّر عنه بطريقة غير متوقّعة. بما أن معجم الإيماءات الخاص بها الآخذ في النمو سيمكّنها من التعبير عن نفسها بطرق أكثر تعقيداً فإن طفلتك ستظهر لك أنها مفكرةٌ مبدعةٌ وأنها غير مضطّرةٌ لفعل الأشياء تماماً بالطريقة التي رأتك تفعلينها. ستدركين فجأةً أن لديها طرقها الخاصة بها. فمثلاً قد تكونين مستلقيةً على الأرض إلى جانبها تلعبين معها بالمكعبات فتأخذ مكعباً وتحاول وضعه فوق رأسك وهي تضحك. إنها تعلم أنّ المكعبات ليست قبعات ولكنها اخترعت مزحةً وتريد أن تشاركك إياها. عندما تضحكين استجابةً لذلك وتضعين مكعباً فوق رأسها تكونين قد بدأت معها لعبة «دعينا ننظاها» لأوّل مرّة.

إن ابنتك تظهر لك قدرتها على ابتكار الدعابات وأنها قد بدأت تفهم وظائف الأشياء. إن المكعب هو جسمٌ صلبٌ نستخدمه لبناء الأبراج والقبة قطعةً طريةً من القماش توضع فوق الرأس وسيكون من الممتع للطفلة أن تخلط بين الوظائف المناسبة للأشياء، إنّ مزحة طفلتك تلك ستُعلمك أنّ باستطاعة طفلتك أن تُلَفّق الأشياء بطريقتها الخاصة وأنها تطوّر فهمها لوظائف واستخدامات هذه الأشياء. في النهاية سوف تطبّق هذا الفهم على المزيد من جوانب عالمها وسوف تصبح أكثر منطقية وعلمية في تفكيرها.

إنّ هذه الأصالة هي علامة أخرى على تطوّر شخصية طفلتك المستقلّة. إنها تستخدم قدرتها الجديدة لكي تجمع أنماط السلوك مع بعضها لتعبّر عن غضبها أو حبّها وكرهها وسوف تجدّين أنّها تكون شخصيةً متميّزة. ستدرك طفلتك أن باستطاعتها أن تكون غاضبةً وسعيدةً أو جريئةً ومتشبّهةً برأيها في نفس الوقت ومع ذلك تبقى محطّ حبّك لها. أثناء مرور طفلتك بطيفٍ كاملٍ من المشاعر سيساعدها حبّك المستمر لها على إحساسها بذاتها.

حينما تشاركين طفلتكِ في كل هذه الألعاب والتفاعلات الإيمائية المعقّدة فإنّ جسدها وحواسها ولغتها وقدراتها المعرفية ستنمو بشكلٍ مدهش. إن تنظيم السلوك والمشاعر في أنماط معقّدة ليس بالأمر السهل وترتبط قدرة طفلتكِ على تجاوز هذه المرحلة بقابلية عضلاتها لنقلها إلى حيث تريد وقابلية حواسها لقراءة الرسائل التي تصل إليها من البيئة المحيطة بها.

إن الجداول التالية هي دليلٌ على بعض القدرات المعروفة جيّداً والتي لها علاقة بالهدف الأساسي من هذه المرحلة وهو القدرة على حلّ المشكلات.

إنّ الأطفال ينمون بدرجات متفاوتة وهذا أمر طبيعي لذلك ضعي في بالك أنّ هذه الجداول تقريبية. ولا تنسي أيضاً أن أهمّ إنجاز تحقّقه طفلتكِ في هذه المرحلة هو قدرتها على أن تتبادل معكِ الرسائل غير اللفظية التي تحلّ المشاكل. إنّ مهاراتها في التواصل هي المفتاح الحقيقي الذي سيفتح أمامها مستقبل نموّها العاطفي والمعرفي.

قدرات الطفل بين الشهرين التاسع والثامن عشر



الأنماط الحركية

الشهر 9 - 10

- السير لوحده أو بالاستناد إلى الأثاث.
- جلوس القرفصاء أثناء اللعب.
- إلقاء كرة إلى الأمام.
- الأكل لوحده باستخدام أصابعه.
- وضع مكعبين فوق بعضهما.
- تنظيم تتابع حركة مؤلفة من خطوة واحدة كالدفق أو الالتقاط أو رمي كرة.

الشهر 18

- التخطيط لأنماط حركية تتضمن خطوتين أو أكثر كإلقاء كرة إلى الأعلى ومحاولة التقاطها.
- محاولة تقليد الكتابة والخرشة على الورق لوحده.
- الإمساك بشكل مناسب بقلم تلوين أو قلم رصاص (بطريقة تجعل الخرخشة أمراً ممكناً).
- وضع أشياء في كأس أو ألعاب في صندوق.
- بناء برج مؤلف من مكعبين أو أكثر.
- وضع وتد في مكانه من لوح الأوتاد أو وضع قطعة مدوّرة ضمن فراغ مدوّر في صندوق.
- نزع الجوارب.

الأنماط الحسية

الشهر 9 - 10

- اكتشاف أطعمة مختلفة والقدرة على تلمس أشياء ذات ملمس مختلف بواسطة اليدين والقدم.
- التسلق واكتشاف الأرائك والطاولات.
- عدم إبداء حساسية خاصة تجاه الأضواء البراقة.
- عدم إبداء حساسية خاصة تجاه الأصوات العالية كصوت المكنسة الكهربائية.

الشهر 18

- تحمّل أنماط مختلفة من اللمس أو التمتّع بها كالعناق واللعب الخشن وأنواع القماش المختلفة وتمشيط الشعر وفرشاة الأسنان.
- تحمّل الأصوات العالية.
- تحمّل الأضواء البراقة.
- تحمّل التحرك عبر الفراغ والارتياح لذلك.

الأنماط اللغوية

الشهر 9 - 10

- فهم الكلمات البسيطة مثل «حذار» و«قبلة».
- استخدام الأصوات أو بعض الكلمات البسيطة للإشارة إلى أشياء معيّنة.
- البربرة

الشهر 18

- فهم بعض الأسئلة البسيطة وتنفيذ بعض التوجيهات البسيطة (دحرج الكرة هنا).
- تقليد الكلمات البسيطة.
- استخدام الكلمات للتعبير عن الحاجات (فوق، قبلة).

الأنماط المعرفية

الشهر 9 - 10

- التركيز والانتباه أثناء لعبة معكٍ أو لوحده لمدة خمس دقائق أو أكثر.
- تقليد الإيماءات البسيطة مثل التلويح باليدين أثناء التوديع أو هز الرأس أثناء الرفض.
- إيجاد لعبة تحت يد الشخص الذي يلعب معه.
- محاولة تقليد المهام التي تحتاج إلى تحكم العضلات الدقيقة كالخربشة.
- اكتشاف الطريقة التي تعمل بها الألعاب والعلاقات البسيطة (شد الخيط لإحداث صوت).
- استخدام أنواع مختلفة من الأصوات في التفاعل مع الآخرين.

الشهر 18 :

- استخدام الأشياء بطريقة صحيحة وهو يلعب بك (تسريح شعره بمشط لعبة أو إصدار الأصوات أثناء الإمساك بـ تلفون لعبة).
- البحث عن لعبة يرغب بها أو شيء مخبئاً في أكثر من مكان.
- اللعب معكٍ أو لوحده بطريقة مركزة لمدة خمس عشرة دقيقة أو أكثر.
- تقليد سلوك شاهده لتوّه أو شاهده قبل دقائق.
- تمييز الوجوه المألوفة في صور العائلة.
- استخدام عصا أو أداة لالتقاط شيء آخر.
- استخدام بعض التتابعات الصوتية الطويلة وبعض الكلمات بشكل هادف.

الأهمية القصوى لهذه المرحلة

إنَّ قدرة طفلتك الجديدة على حلِّ المشاكل وفهم الأنماط ستمكّنها من تحقيق قفزاتٍ واسعةٍ في تعلُّم الكيفية التي تتلاءم فيها مع طيفٍ كاملٍ من العواطف وتعلُّن التفكير العلمي وفهم الفرق بين الصح والخطأ والإحساس بذاتها (كما سنوضح ذلك في فصلٍ لاحق). لنلقِ نظرةً على كلِّ من هذه النواحي بشكلٍ مفصّل.

التلاؤم مع العواطف:

إنَّ الأخذ والردَّ الذي تتبادلينه مع طفلتكِ طوال اليوم سيعلمها أنَّ التواصل مع إنسانٍ آخر بالإيماءات والوضعيات والأصوات يحقق لها ما تريده ويجلب لها السعادة. في كلِّ مرَّةٍ تطلب فيها مساعدتك لفتح صندوقٍ يحتوي لعبتها المفضَّلة، أو تنظر إليك بشكلٍ متكرَّر لتعرف ردَّة فعلك وأنتما تجمعان أجزاء صورةٍ إلى بعضها معاً، أنت تساعدنيها على أن تفهم أنَّ حلَّ مشكلةٍ ما غالباً ما يتضمَّن القيام بعدة خطوات. كما أنها ستدرك أنَّ الانتقال من الشعور بالدافع إلى الشعور بالرضى غالباً ما يعتمد على التعاون مع شخصٍ آخر.

يا لها من مهارةٍ مهمَّة أن يتعلَّم الإنسان التلاؤم مع العواطف! إنَّ الطفلة التي يسارع أبواها لإعطائها الحلولِ بمجرد شعورها بالانزعاج لن تُتاح لها الفرصة لتعلَّم الدرس الثمين بأنَّ عليها أن تتبع عدة خطوات أن تنظِّم أفعالها للوصول إلى أهدافها. ولو أنَّ والداها قاما بدلاً من ذلك بتشجيعها على تبادل النظرات والأصوات والحركات معهما بحيث تتصرَّف بشكلٍ هادف، لتعلَّمت الطفلة أنَّ السير خطوة خطوة بتصميم يصل بها إلى أهدافها وسيصبح لديها خبرة في التواصل الاجتماعي وهي تنخرط في حوار غير لفظي معكِ وستشعر بالثقة والفخر بأنها تستطيع التحكم في نفسها والحصول على ما تريده.

إنَّ تقدير الطفلة لنفسها ينمو بشكلٍ هائل في كلِّ مرَّةٍ تمسكين فيها بيدها وتنظرين في عينيها وتقولين «أريني ما الذي تريدينه».

كلَّما ازداد إدراك الطفلة بأن أفعالها المتتابة سوف تنيلها مرادها أصبح العالم بالنسبة لها مكاناً منطقياً يُعتمد عليه.

سوف تنجذب طفلتكِ إلى العالم ويصبح لديها فضولٌ لاكتشاف مكانها فيه وذلك بفضل السرور والرضى الذي أدخلته حواراتكِ معها عن نفسها.

التفكير العلمي

سنركّز الآن على عملية التواصل مع طفلك بغض النظر عن الشكل الذي سيأخذه اللعب فيما بينكما.

إنّ التفاعلات التي تدور حول الأزهار أو الطعام أو أشعة الشمس أو ألعاب السيارات أو شبكات العنكبوت كلّها متساوية في الأهمية. كوني منطلقةً بقدر ما تستطيعين! سوف تدركين من خلال العدد المتزايد من النظرات العفوية وتقطيبات الحاجبين والابتسامات والضحكات وخطوات الرقص التي تتبادلينها مع ابنتك أنّ كلّ أجهزتها تعمل، وأنها تتعلّم المزيد عن العالم. إنّ الفكرة هنا هي تغذية الأخذ والردّ بينكما ومقاومة الانزلاق إلى التفاعل المعتمد على الإظهار والإخبار. إنّ طفلك قد تنفر منك إذا أريتها زهرةً وحاولت تسمية أجزائها لها.

بدلاً من ذلك اعرضي عليها زهرةً وشاهدي ما الذي ستفعله بها. إذا قامت بشمّها بفضول اسأليها إذا كان باستطاعتك شمّها أيضاً عندما تفعلين ذلك أغمضي عينيك وأظهري على وجهك ملامح الانبهار برائحة الزهرة الجميلة. لاحظي إن كانت طفلك ستتمضي في اكتشاف جزء آخر من الزهرة، إذا انتزعت ورقةً منها دعيها تنزع ورقةً أخرى ثمّ علّقي على ملمس الورقة الناعم أو قولي «وييي... انظري إلى الورقة كيف تطير في الهواء» ستلعبين بذلك دور الزميلة المعجبة ببراعة زميلتها وستكون طفلك بمثابة عالمٍ يقودك أثناء اكتشافكما الحديقة معاً. إنّ اختيار الأشياء التي تتفاعلين من خلالها مع طفلك ليس بالأمر المهم، المهمّ هنا هو أن يأخذ التفاعل بينكما شكل اللعب. عندما تلعبان معاً ستولّد تصرّفات طفلك ردود فعلٍ منطقيةً عندك لكن هذه الردود قد لا تؤسّس عند طفلك تفكيراً علمياً.

عندما تدفع طفلك ذات الشهر السادس عشر من عمرها بلعبة القطار على الأرض ثم تقبل علامة الخدش التي تراها على المقطورة الأخيرة في

محاولةٍ منها «لجعلها أفضل» لا تحاولي أن تشرحي لها أنَّ اللعبة لا تتألم مثلها. إنَّها تتعلَّم التفكير العلمي بتقليد الأنماط والنمط الذي تكتشفه الآن هو كيف تجعلُ القبلَةَ شيئاً ما أفضل. إنها باحثة طبية ناشئة! في هذه المرحلة ليس من الضروري أن تعرف أنَّ القطار البلاستيكي مجرد جماد لا يتألم. عندما تشعرها بالمرح والمغامرة وهي تلعب فإنها ستتعرف على الحقائق فيما بعد لأنها تبني الآن الأنماط المنطقية التي ستمكَّنها من اكتشاف هذه الحقائق ومما هو أهم من ذلك معرفة التفكير بالشكل الصحيح.

إنَّ هذه الطريقة في اللعب يستصعبها الكثير من الأهل. وما لا يدركه الكثيرون منا هو أنَّ الألعاب العفوية والمرحة تُعلِّم الطفل أكثر من المحاضرات المعدَّة بشكل جيّد التي نلقيها عليه أو ألعاب الكمبيوتر التي نشترها له.

لا داع أبداً لأن تقلقي إذا لم تتعلَّم طفلتكِ بشكل فوري الحقائق الجافة عن طريقة سير العالم من حولها. إنها الآن تتعلَّم الأنماط وتفهم أنَّ للأشياء استخدامات معيَّنة فالمشط يتحرَّك على أعلى الرأس وفرشاة الأسنان تتحرَّك داخل الفم. إنَّ قدرتها على تحديد الأنماط والخواص هي التي ستنظِّم فهمها للعالم من حولها.

عندما تستخدمين التفاعلات بينكِ وبين ابنتكِ في حلِّ المشكلات العاطفية فإنَّكِ تساعدنيها على التفكير بشكلٍ منطقي وتجريدي.

إنَّ إنجازات طفلتكِ التي تبدو عادية كقدرتها على العودة إليك عندما تنادينها باستخدام أصواتٍ مضحكة لكي تنضمَّ إليك في المطبخ أو رغبتها في مشاركتكِ في إصدار أصوات البقر أو الطيور لأنها تدرك أنَّ ذلك يجلب السرور لكلِّ منكما، كلُّ ذلك هو الأساس الذي سيُبنى عليه نموُّ ذكائها. لقد أصبحت طفلتكِ قادرةً على التفكير بشكلٍ علمي لأنها قادرة على أن تبدأ معكِ أنماطاً تفاعلية وعلى أن تفهم هذه الأنماط.

تطوُّر الإحساس بالصَّح والخطأ

خلال هذه الفترة من تطوُّر الأطفال تنتقل إليهم رسائل عن القيم من خلال أنماط سلوك أهليهم. إنَّ المفاهيم الأخلاقية عن العناية والتعاطف تنتقل إلى طفلتك في كلِّ مرة تعلِّمونها فيها كيف تربَّت برفقٍ على قَطَّتْها وكيف تهزُّ بلطفٍ لعبتها الموضوعة في المهد. عندما تُبدي إيماءاتنا للطفل كيف يتعامل مع الأشياء الهشَّة كالحيوانات المنزلية والألعاب والأطفال الآخرين فإننا نعلِّمهم احترام المخلوقات الأخرى.

إنَّ الأطفال يتعلَّمون العناية بالآخرين ليس فقط عندما تستجيبين لهم بل عندما يستجيبون لكِ أثناء تفاعلِك معهم.

عندما تومئين لطفلتكِ بأنها تُصدر الكثير من الضجة - سواء بحركةٍ من يدكِ أو بتغطية أذنيكِ أو بقولكِ «هشش» ووضع إصبعكِ على فمكِ - فإنها غالباً ما تستجيب بإيماءةٍ خاصةٍ بها. قد تخفِّض من صوتها وهي تضع إصبعها على شفثيها ولكنَّها قد تعود إلى رفع صوتها بعد فترة قصيرة. عندما تستجيبين لذلك بقولكِ «هشش» مرَّةً أخرى فغالباً ما ستخفِّض صوتها ثانيةً لأنها بدأت تأخذ مشاعرك في الحسبان. إنها ستمارس الكثير من التدريب في قراءة الإيماءات والمشاعر والاستجابة لها أثناء حواركما الطويل معاً، وستدرك طفلتكِ أنَّ ضجيجها قد يسبِّب لكِ التعاسة أو عدم الارتياح إذا بدا على طفلتكِ عدم الارتياح وبدت وكأنَّها توشك على قرصكِ فإنكِ غالباً ما ستقْطِئين جبينكِ وتلوِّحين بإصبعكِ قائلةً «لا! لا!». عندما تحثِّنها على أن تستخدم الأصوات أو الأفعال لتُظهر لكِ ما الذي تريده فإنها ستتعلم كيف تتجنَّب تحميلكِ مسؤولية شعورها بالإحباط أو الغضب وعندما تتمكَّن من منع نفسها من قرصكِ سيكون باستطاعتها أن تشير إلى رفِّ المطبخ إذا كانت تشعر بالجوع وأن تشدِّكِ إلى الباب إذا كانت تريد الخروج من المنزل.

على الرغم من أن طفلتكِ قد تكون غاضبةً منك إلا أنَّها ستأخذ

مشاعرك في الحسبان وتستجيبُ لك عندما تقولين لها: «لا، لا» بإيماءاتك.

أثناء هذه التفاعلات الطويلة بينك وبين طفلك فإنها لن تتعلم كيف تنظم سلوكها وحسب وإنما ستتعلم أيضاً كيف تفعل ذلك بما يوافق مشاعر الآخرين. هذه الرغبة في تغيير السلوك هي دليل آخر على نمو الإحساس الأخلاقي عند طفلك.

أحياناً عندما تبلغ طفلك الشهر الثامن عشر من عمرها تُظهر علامات تدل على سلوك الإيثار عندها. إذا جرح شريكها في اللعب أو أخوها أو أختها وأخذ يبكي فقد تذهب طفلك إليه وتربت بلطف على ذراعه أو على مقدمة رأسه. غالباً ما يقلد الأطفال سلوكاً رأوه عند الآخرين لكن هذه التصرفات تشير أيضاً إلى الرغبة في مساعدة الآخرين. وعلى الرغم من أن الطفل الذي ساعدته قد لا يفهم معنى كل إيماءاتها الآن إلا أن التعاطف الحقيقي سيظهر فيما بعد.

عندما تتصرف طفلك بعدوانية فإن لديك الفرصة لتعلمها أن غضبها قد يكون مبرراً لكن إيذاء الآخرين لا يمكن السماح به. إنها ستلتقط موقفك من العدوانية قبل وقت طويل من قدرتها على تعلم أول كلمة تعبر فيها عن غضبها. على سبيل المثال إذا غضبت طفلك التي تبلغ الشهر السابع عشر من عمرها لأنك رفضت أن تزيحي الطعام الذي لا تحبه من أمامها فقد ترفع صوتها ثم تحدق فيك وتقلب صينية الطعام. بعض الأطفال ينتظرون حتى تتبهن إليهم ثم يرمون كل شيء أمامهم بفخر ووقاحة.

إن الطريقة التي ستجيبين فيها لسلوك كهذا سترسل إشارات إلى ابنتك عن الكيفية التي تنظرين بها أنت وعائلتك إلى الغضب والعدوانية وإلى المشاعر الجيدة والسيئة وإلى الصواب والخطأ.

إذا استجبت بعنف لغضب طفلك واعتبرته تهديداً لشعورك بالسيطرة وأظهرت بنبرتك القوية وحاجبيك المقطبين وكتفك المتوترتين أن مشاعرها

العدائية ممنوعة فإنَّ طفلك قد تعتبر الغضب والتصميم أمراً سيئاً وقد تصبح حذرة ومرتددةً زيادة عن اللزوم. تستطيعين أن تعلّمي طفلك الفرق بين مشاعر الغضب المقبولة والسلوك المؤذي بأن تنتبهي إلى نبرة صوتك وتصرفاتك وإن كان ذلك صعباً في بعض الأحيان. إن كلمة «لا، لا» بشكل حازم مصحوبةً بمساعدة طفلك على أن تتعلّم هزّ رأسها للتعبير عن كلمة (لا) أو أن تتلفظ بهذه الكلمة قد يكون هو المطلوب في هذه الحالة. إنَّ الضرب أو العض يحتاج إلى إيقاف فوري. تحدّثي بنبرة جادة وأظهري تعابير الرفض على وجهك ويُنِي لها كيف تستخدم إيماءاتها للتعبير عن غضبها دون ضرب أو عض. عندما تتفاعلين مع طفلك وتستخدمين الإيماءات لكي تبيني لها الحدود التي لا يُسمح بتجاوزها، قد يكون من الضروري إبعادها مؤقتاً عن لعبتها أو عن النشاط أو الصديق الذي ربما سبّب لها إثارة زائدة. إنَّ المفتاح هنا هو أن تضعي قيوداً بلطفٍ وحزمٍ وأن تُبقي على تواصلٍ معها وتهدئها في نفس الوقت.

إنَّ الإيماءات والسلوك الذي نختاره للتفاعل مع أطفالنا غالباً ما ينقل قيماً ثقافية. إنَّ طفلك يستجيب لما تفضّلينه والذي غالباً ما يعكس الثقافة التي نشأت فيها. إنَّ قيمة اللطف على سبيل المثال قد تكون أهم قيمة عند عائلة ما في حين تلقى اهتماماً ضعيفاً عند عائلة أخرى. قد يُشجّع طفلٌ على التصرف بشكلٍ عنيف ويُعتبر ذلك التصرف جيداً في حين قد يُعلّم طفلٌ آخر أنَّ اللطف هو التصرف الجيد. إنَّ الإيماءات المختلفة التي يتبادلها كلٌّ من هذين الطفلين مع أفراد عائلتهما هي البداية التي تشكّل قاعدة إحساسهما بالصواب والخطأ.

في حين يتعلّم الأطفال في هذه السن الأنماط المعقّدة بما في ذلك العواطف وأنماط الوقت والفراغ يستمرُّ نموُّ الاتصالات العصبية في أدمغتهم كما حدث في مراحل التطوُّر السابقة وذلك في المناطق المتعلقة بفهم العواطف والعلاقات الفراغية (غالباً في الجزء الأيمن من الدماغ). على سبيل

المثال: يحتاج العثور على الأم الموجودة في غرفة أخرى إلى معرفة الفراغ (أين توجد ماما) وأن تتصل هذه المعلومة بالرغبة العاطفية لوجودها بالقرب منها. كذلك معرفة الطفل أن أمّه ستعانقه بحرارة (بعد الانتهاء من مكالمته تلفونية) تتضمن نمطاً مشابهاً من التعامل مع العواطف والإحساس بالوقت.

تطوّر الشعور بالذات.

عندما تبدأ طفلك باستخدام الأصوات والكلمات ذات المعنى بشكل متزايد لحلّ المشاكل وللتعبير عن أفكارها وتصرفاتها بشكل متسلسل فإنّ المزيد من الاتصالات العصبية يتشكّل في أجزاء دماغها المسؤولة عن اللغة والنماذج وفهم الأنماط.

يتعرّز نموّ دماغ طفلك كلّما تفاعلت بطرق أكثر تعقيداً، وكلّما أصبحت أكثر قدرة على تقليد الأصوات والكلمات.

إنّ بنية دماغها لا تسهّل عليها تعلّم اللغة والقدرة على التخطيط أو تنظيم أفعالها وتصرفاتها وحسب، ولكن يبدو أنّ دماغها ينمو نتيجة لتزايد تفاعلاتها المعقّدة مع الآخرين. من الواضح أنّ التفاعل مع المحيط ونموّ الدماغ يقوّي أحدهما الآخر.

مساعدة طفلك على أن تصبح قادرة على حلّ المشاكل

أظهري الإعجاب وتفاعلي!

إنّ أهمّ أمرٍ يمكنك فعله لكي تشجّعي طفلك على تنظيم سلوكها وعلى نقل أفكارها ومشاعرها إلى الآخرين وحلّ المشاكل، هو أن تبدي إعجابك بها وتفاعلي معها. إنّ طفلك تحتاج في هذه المرحلة إلى أن تشعر بالدفء والانتباه المركّز منك، فإذا بنّت برجاً من المكعبات ثم التفتت بفخر إليك فإن نظرات القبول والإعجاب في عينيك ستشجّعها على الاستمرار، أما

إذا ظَلَلَتْ منهمكةً في قراءةِ الجريدة ولم تعيرِها أيَّ اهتمام تكونين بذلك قد قطعتِ التواصل بينكما. إذا كنتِ مبالغَةً في المثالية ومتسلطة فإنَّ هزَّاتِ رأسكِ الراضية وتعابيركِ الغاضبة في كلِّ مرَّةٍ تحاول فيها طفلكِ تسلُّق الأريكة ستُضعِف قدرتها على التصميم وعلى التفاعل معكِ.

بالمقابل إذا انضمتِ إليها وشجَّعتها على اكتشاف الحديقة ستشعر برضاكِ عن حبِّها للمغامرة.

إحدى الطرق التي تبدين فيها لطفلكِ حبَّكِ للبقاء معها هو أن تتصرَّفي معها بشكلٍ هزلي. كما ذكرنا سابقاً ستبدي طفلكِ شعوراً بالمرح في تلك الأشهر. سوف تستخدم كل أنواع الكلمات غير المفهومة ليس فقط تقليداً لأصوات وكلمات الكبار وإنما إعجاباً منها بأنماط الأصوات التي لا معنى لها والتي تصدر من فمها. عندما تتبادلين مع طفلكِ أصوات النباح والمواء وغيرها ستشعر أنها أكثر المخلوقات مرحاً، وسوف تستمرُّ رغبتها في التواصل معكِ وتحاول تقليدكِ وأنتِ تطلقين المزيد والمزيد من الأصوات المضحكة. حتى عندما تكون طفلكِ مضطربة فإنَّ استخدامكِ للأصوات المضحكة أو مشاركتها في لعبة الحصان قد يعيدها إلى التواصل مرَّةً أخرى.

إذا كانت طفلكِ البالغة ثمانية عشر شهراً من العمر من النوع الذي يكرِّر الأفعال بدل أن تكون منفتحةً ومبدعةً، وأخذت تغلق الباب بشدة مرَّة بعد أخرى باستطاعتكِ أن تجرَّبي معها هذه الطريقة التي خرج بها أحد الآباء. اجعلي نفسك محشورة خلف الباب وتصرَّفي وكأنَّكِ تعتذرين منه وتطلبين منه الصفح لأنَّكِ صفعته بقوة. قد تندهش طفلكِ من هذا الأمر الذي نتج عن تصرُّفها وهي طريقة عملية لإعادتها إلى حوارٍ خلاقٍ أكثر، وإلى إشعارها أن المتعة والفكاهة هما من أجزاء العلاقات الإنسانية أيضاً.

دعي طفلكِ تقودك.

عندما تشجعين طفلكِ على أن تلعب دوراً مركزياً أثناء لعبكما معاً فإنكِ تتبعين مفتاحاً أساسياً في التفاعل أثناء اللعب على الأرض وهو: دعي طفلكِ تقودكِ في اللعب. لماذا من المهم أن تشجعي طفلكِ على ذلك؟ إننا نشجع هذا الأمر أثناء اللعب على الأرض لأننا نريد استغلال اهتمامات الطفل الطبيعية. عندما نبني تفاعلاتنا على أساس اهتمامات الطفل والأمور التي تسره والوضعيات والحركات التي تُبهجه، فنحنُ نساعد على التصميم وعلى أن تقود سلوكه ورغباته وعواطفه الخاصة. إن ربط الرغبات والعواطف بالسلوك والأفكار هو المفتاح إلى التفكير الخلاق والمنطقي.

على سبيل المثال: تخيلي طفلكِ مستلقيةً على بطنها مُمسكةً بلعبة قطة صغيرة أمام وجهها وهي تصدر أصوات مواء. باستطاعتكِ أن تستلقي على بطنكِ أيضاً بحيث تصبحين في مستواها فلا تشعر بالخوف من حجمكِ الكبير وبما أنها تبدي ارتياحاً وسروراً باستخدام صوتها لتقليد المواء. باستطاعتكِ هنا أن تتبادلي معها أصوات المواء أيضاً. وباستطاعتكِ أن تشدّي نظرها وتمدّي يدكِ وتربّي على رأس القطة، لاحظي إن كانت ستقلدكِ وتربّي على رأسكِ أو إن كانت ستنتصب على أطرافها الأربعة وتبدأ بالبحث عن أم القطة. قومي فقط باتباع قيادة طفلكِ وساعديها على أن تلعب في اتجاهات جديدة.

عندما تعتمدين على اهتمامات طفلكِ فإنكِ تساعدِينها على الشعور بقدرتها على تحقيق أهدافها. سوف تمتلئ بالفخر لأنها قادتكِ وتمكّنت من التأثير عليكِ. في كثير من النشاطات خلال اليوم سيكون من الضروري أن تكون لكِ الكلمة الأخيرة وسوف تشعر طفلكِ بضعفها النسبي. لا شك أنكِ صاحبة الكلمة فيما يتعلق بمواضيع الطعام والنوم وأوقات الراحة واللعب، وعلى كثير من المستويات يُعطي هذا التحكمُ الطفلة شعوراً بالأمن والراحة،

ومع ذلك تظلُّ عندها تلك الحاجة الإنسانية الأساسية لأن تشقَّ طريقها بنفسها بين حين وآخر. عندما تتركين فترة اللعب على الأرض لطفلتكِ لتعبّر عن نفسها فأنتِ تساعدِنها على ممارسة السلوك الذي يعبر عن مقاصدها بطريقة مناسبة. ولأنها تفعل ما تريد فعله ستكون ممارستها تلقائية.

هناك فائدة أخرى من الاعتماد على اهتمامات طفلكِ الطبيعية أثناء تبادل الإيماءات بينكما وهي أنَّك لن تضطريّ إلى استخدام ألعابٍ وأفكارٍ جديدة لكي تملأي وقت اللعب بينكما. سوف تنفذُ الألعاب التي تعرفينها وستشعرين بالإرهاق والملل إذا كان عليك أن تسلي طفلكِ طوال الوقت. سيكون هناك ظروف تضطرين فيها إلى التدخل أثناء تفاعل طفلكِ معكِ فإذا شعرت أنَّها بدأت بالانسحاب ولم تعد تبادر بفتح دوائر التواصل معكِ تستطيعين عندها أن تبدأي بتبادل الإيماءات معها بطريقة تشدُّ انتباهها.

إذا بدأت طفلكِ تفقد حماسها في الزحف مثل القطة وتبدي فتوراً في متابعة اللعب معكِ أعطها دقيقة أو اثنتين للراحة ثم الانضمام إليك من جديد. كوني صبورة ولاحظي ما هو الأمر الذي سيثير اهتمامها مرة ثانية. حتى في أوقات الراحة كتلك الأوقات التي تستلقي فيها على ظهرها وتحقق في ظل على السقف، أو حينما تحقق من خلال النافذة في أوراق ملونة زاهية يمكنك أن تحددي ما نوع التفاعل الذي ستبدأينه معها. إنَّ سلوكها أثناء استرخائها يمكن أن يقودكِ إلى لعبة مثيرة تشيرين فيها مع طفلكِ إلى الأشكال التي تحدّدانها على السقف، أو إلى رحلة ترافقين فيها طفلكِ إلى الطبيعة في الخارج.

دائماً هناك إشارات في سلوك طفلكِ لا علاقة لها باللعب القائم بينكما تدلُّ على اهتماماتها. فمثلاً إذا توقفت عن اللعب بلعبتها وأنتما خارج المنزل والتقطت قطعة أو قطعتين من الخشب وجدتهما بجانب قدمها سيكون من المناسب أن تذكري في تفاعلكِ معها على القطع الخشبية. إذا بدت

متعبة وأرادت بعض الراحة ادعيها إلى الاستلقاء معكِ على الأريكة، ودعيها تسمع صوتكِ وأنتِ تتحدثين عن متعتكِ بالاستلقاء إلى جانبها أو ليعانقكِ منكما الآخر لفترة من الوقت. إنَّ الهدف هو إعطاء ابنتكِ الخيارات ثمَّ اتباع خطة العمل التي اختارتها. في كلِّ مرَّةٍ تنجحين فيها في تمديد فترة التفاعل المتبادل مع طفلتكِ فأنتِ تساعدنِها على الربط بين أفعالها بشكلٍ هادف، وسوف تشعر بالرضى عند اتخاذ خطوة ثانية أو وضع قطعة من صورة مجزأة في مكانها الصحيح.

مساعدة طفلتكِ على التعبير عن مشاعرها كلها

هل تستطيع طفلتكِ أن تعبر عن طيفٍ من المشاعر؟ كيف تُعلِّمكِ بأنَّها تريد أن تُحمَل وتُعانق؟ كيف تعبر عن شعورها بالفضول؟ هل تتجنَّب اللعب العدواني أم هل هي منغلقة وعنيدة؟ عندما تتفاعلين مع طفلتكِ حاولي أن تساعدنِها على التعبير ليس فقط عن مشاعر السعادة والقرب والتعاطف والفضول فقط وإنما أيضاً عن مشاعر الغضب والتصميم والحزن أيضاً.

إذا ساعدتِ طفلتكِ على التعبير عن كلِّ مشاعرها وهي في جوٍّ من الأمن والطمأنينة التي تحقِّقها العلاقة بينكما فإنَّ هذه المشاعر لن تُربكها أو تشلِّها عندما تشعر بها في العالم الحقيقي الذي ستخرجُ إليه.

يشعر الكثير من الآباء والأمهات بالسعادة عندما يعبر أطفالهم عن حبِّهم أو تعاطفهم بالعناق أو عندما يتصرَّفون بلطفٍ ويربتون على أيديهم لكنهم يكونون أقلَّ سروراً عندما يضرب الطفل لعبتين ببعضهما. من المهمَّ أن تتذكري أنَّ كلَّ مشاعر طفلتكِ تلعبُ دوراً في تطوُّرها بشكلٍ طبيعي. وهي تتعلَّم كيف تنظِّم مشاعرها عندما تستخدمها في التفاعل بينكما فمشاعر الغضب على سبيل المثال لم تعد فقط جزءاً من المزاج الغاضب الذي تُعبر عنه طفلتكِ بل أصبح بإمكانها تحديد المشاعر الغاضبة والتعبير عنها بكلمات أثناء لعبكِ معها أو محادثتكما معاً ولم يعد من الضروري التعبير عنها بسلوك

عدواني عنيف. إحدى الطرق التي تساعد الطفلة على تعلّم الصبر وتحمل الإحباط هي أن لا تستجيب لطلباتها مباشرة. إن التأجيل سوف يدفعها إلى تبادل المزيد من الإيماءات معكِ حول مشاعرها ولكن حاولي أن تتجنّبي إيصالها إلى حالة الانفجار غاضبة. قومي بالتدريج بتمديد محادثاتكما معاً عندما تتعلّم طفلك تلك الكلمة السحرية «انتظري» تكون قد تعلّمت الصبر وأن يتوقّع الإنسان تلبية حاجاته ورغباته وسوف تتعلّم أن بإمكانها الانتظار.

إذا لاحظتِ أن طفلك مشغولة بصدم سياراتها وتحطيمها خلال الخمس عشرة دقيقة الماضية وأنها تشعر بالإثارة كلّما صدمت سياراتها بسياراتك ستكونين سعيدة بطول فترة اللعب بينكما وبالمؤثرات الصوتية المختلفة التي تبادلاها. إذا انتصبتِ على أطرافك الأربعة وبدأتِ تمثّلين دور السيارة بنفسك فإنّها ستتعاطف معكِ وربما تبدأ بمطاردتكِ. إن توسيع مضمون اللعب سوف يساعدها على ممارسة المزيد من النماذج العاطفية أثناء تفاعلكما معاً. تستطيعين أن توسّعي مدى اللعب بأن تجعلي سياراتكما تطارد بعضها أو بأن تسقطي عمداً إحدى إطارات السيارة ستلاحظين نظرة اهتمام على وجه طفلك، يمكنكِ أن تقترحي عليها مساعدتكِ في إعادة الإطار ويمكنك أن تشرحي كيف يتم ذلك وأن تقدّمي لها قليلاً من المساعدة وهي تحاول تقليد إيماءاتكِ. مع أنكِ ظللتِ مركّزة على اهتمام طفلك بصدم السيارات إلا أنكِ قد ساعدتها على حلّ مشكلة ووسّعت المجال الذي كانت تلعب فيه. إن فهمها للطريقة التي تعمل بها الأشياء في عالمها قد ازداد أيضاً ومن الآن فصاعداً لم تعد لعب السيارات بالنسبة لها مجرد مصدر للإثارة أو للأصوات الناجمة عن تصادمها مع بعضها. لقد أدركت طفلك من خلال إصلاح دولاب السيارة أن المشاكل يمكن حلّها عن طريق إيجاد خطوات معيئة وأن الشعور بالإثارة يمكن تهدئته.

بعض الأطفال يظهرون استجابة مختلفة تماماً عندما يطرأ الغضب والعدوانية على اللعبة التي يمارسونها. إذا هربت طفلك من الصدام وأبدت

رغبتها في التقبيل والمصالحة بسرعة فذلك يعني أن شعورها بالغضب يخيفها ولا تستطيع احتماله. ساعديها على أن تبقى غاضبةً لمدة دقيقة أو أكثر وعلى أن تعبرَ عما تريده بواسطة الإيماءات. ولأنها تشعر بالسلامة والأمن بوجودك معها فسوف تتعلّم أنه كما الحب والأمان جزءٌ من هذه الحياة فكذلك الغضب والصراع هما جزءٌ منها أيضاً.

نفس المبادئ تنطبق على مشاعر الحزن. عندما تعبرَ طفلكِ عن حزنها بالنظرات الحزينة والدموع قومي بالتعاطف مع حزنها تماماً كما فعلتِ مع غضبها. اجلسي معها بهدوء إذا بدت حزينةً لأنَّ أرنبها الوردي فقد أذنه في الغسالة. دعي طفلكِ تشعر أنكِ حزينة أيضاً. لا تندفعي بسرعة إلى مسح دموعها وحملها على الابتهاج. خذي بعض الوقت لتهدئتها. وبإمكانك أن تحاولي فرك ظهرها بلطفٍ وترديد بعض كلمات المواساة مثل (أوه، أنا أشعر بالحزن أيضاً) قد لا تفهم الكلمات التي ستقولينها لكنها بدون شك ستلتقط نبرة التأييد في صوتك. بعد فترة تستطيعين حلَّ المشكلة بمساعدتها والذهاب معها لإحضار أدوات الخياطة وإصلاح أذن الأرنب. من المهم أن يعلم الطفل أننا جميعاً نتعرّض للمشاعر السلبية من حين لآخر وأنَّ ذلك سوف يحدث معه أيضاً.

إن مساعدة الطفل على التعبير عن شعوره بالقرب والسعادة والسرور يعتبر أمراً مبهجاً لمعظم الآباء والأمهات. إن لحظات الاسترخاء التي تستلقين فيها بجانب طفلكِ وتبادلين معها الابتسامات أو التريبات اللطيفة أو الأصوات المضحكة هي أجمل لحظات الحياة. كذلك فإنَّ أوقات الهدوء التي تجلسين فيها مع طفلكِ وتنظران معاً إلى كتابٍ مليءٍ بالصور سوف يغمر قلب طفلكِ بالدفء وتشعرها بالحب.

إن المشي مع طفلكِ وأنتِ تضعين يديك بيدها في الحديقة يشعرها بطيفٍ كاملٍ من الأحاسيس. فالدفء والأمن اللذان توفرهما لها يدك

الممسكة بيدها سيشجعانها على المضي قُدماً في اكتشاف العالم من حولها. وقد تترك يديك وتبتعد عنك لتكتشف شيئاً ما أو قد تنحني لفحص حجراً لامعاً. وعندما تنظر إليك لترى مدى موافقتك على إصرارها على اكتشاف الأشياء أظهر لها موافقتك وابتهاجك. يمكن أن تجري وراءها عندما تركض، أو أن تمسكي بيدها وتساألها أن تُريك الحجر الجميل الذي عثرت عليه. وبشكل عام حاولي أن تستعدي متعة التلقائية التي جربتها عندما كنت صغيرة، كلما جعلت شعرك يتناثر على وجهك شعرت وابتنتك بالمرح والسرور.

بإستطاعتك أن تشجعي طفلتك على التصميم بأن تُحدثي نوعاً من الضجة حول إيماءاتها وأنتما تمشيان معاً. فمثلاً يمكنك أن تختبئي خلف شجرة ثم تبرز جزءاً من يديك أو رجلتك لتراه فتعثر عليك وهي تشعر بالسرور والابتهاج.

حتى عندما تمشين مع طفلتك فإن ذلك قد يكون مصدراً للغضب والإحباط، فقد تنظرين إلى ساعة يديك وتذكرين أن طفلك الأكبر سناً قد عاد إلى المنزل وأنه قد آن أوان العودة. لكن المستكشفة الصغيرة التي ترافقك قد تشعر بالانزعاج من العودة إلى المنزل. إن بكاءها وصراخها سيُعلمك بأن الوقت قد حان لتطبيق بعض استراتيجيات وضع الحدود على طفلتك.

كيف نضع الحدود لأطفالنا

عندما تبلغ طفلتك السنة والنصف من عمرها فإن حاجتها إلى اكتشاف العالم ستصطدم بحاجتك إلى السيطرة على بعض تصرفاتها الطائشة. إن أي طفلة تحترم نفسها سوف تغضب إذا حاولت نزع إناء الكريستال من يدها بعد أن تسلقت الخزانة لكي تصل إليه. ولكن في بعض الأحيان يكون غضب الطفلة انعكاساً لفهمها الفطري لحاجتها إلى الحدود التي تضعينها لها. ففي الحقيقة قد تخاطب الطفلة نفسها وهي تتجه إلى شيء حُذرت مراراً من

الاقتراب منه قائلة (لا، لا) ولكن لأنها غير قادرة بعد على التفكير بأن عليها ألا تقترب من هذا الشيء فقد يكون صراخها نوعاً من الحديث مع نفسها بصوت عالٍ. بما أن الطفلة لا تستمع في هذه المرحلة لنصائحها النابعة من داخلها فهي تحتاج إلى مساعدتك. قد يكون ذلك بأن تتصرف في كشرطي مهذب وتمدّي راحة يدك أمام وجهك وأنتِ تقولين لها (توقفي)، وغالباً ما تستجيب الطفلة لإيماءاتك فلا تضطرين إلى حملها وإبعادها عن الخطر.

بدون وضع مثل هذه الحدود ستكون حياة طفلتك مهددة في بعض الأحيان. فقد يسيطر عليها غضبها وقد يعرضها حبها للاكتشاف إلى الخطر وقد لا يوجد مكان آمن تطمئن فيه على طفلتك.

لذلك يعتبر وضع الحدود والقيود بشكل مستمر وهادئ جزءاً من علاقة الحب بينكما. إن الجزء «المتعلق بالهدوء» من هذه الوصفة قد يكون صعباً عندما تكون طفلتك في قمة الغضب وهي تعض أخاها الكبير، ولكن يجب أن يظل هذا الهدوء هدفاً في كل مرة تضعين فيها حدوداً لطفلتك.

إن وضع الحدود يساعد الطفلة على تنظيم سلوكها والشعور بقدرتها على السيطرة على نفسها. وكما أنك تضعين حاجزاً ل تمنعي طفلتك من نزول الدرج يجب أن تضعي (حواجز) سلوكية تدلّ طفلتك على الطرق الآمنة في التعبير عن مشاعرها واكتشاف البيئة المحيطة بها. إن تعليم الطفلة هذه الحدود أمرٌ مختلفٌ عن معاقبتها وفي الحقيقة فإن هذه الحدود عندما تُغرس بقوة في عقلها ستساعد على اكتشاف العالم الأوسع المحيط بها.

كيف تُفهمين طفلتك التي تبلغ سنة من العمر معنى «لا» أو «ليس الآن»؟ يجب أن تستخدمِي لغة الإيماءات التي يفهمها كلاكما. إنها تحتاج إلى رؤية الجدية في ملامح وجهك والقوة في إصبعك التي تشيرين بها، وإلى أن تسمع الثقل في صوتك وأنتِ تقولين لها «لا». عندما تبلغ طفلتك سنة ونصف من عمرها ستستجيب لإيماءاتك المعبرة عن المنع لأنها بدأت

تفهم الطريقة التي يعمل بها العالم. قد يكون من الصعب عليك أن توقفي طفلك عن متابعة نشاط ممنوع لأن شعور التصميم عندها أكثر تنظيماً وقدرة على إيصالها إلى أهدافها. قد يقتضي الأمر مزيداً من الجهد من طرفك لتحملي طفلك على ترك شريط الكهرباء إذا كانت مولعة بشده، إذا جرّبت أسلوب الشرطي وإيماءاته والصوت الصارم بدون نتيجة، عليك أن تحملها إلى الطرف الآخر من الغرفة، ثم حاولي بعد ذلك أن تُريها بعض حركات التحذير بيدك وأن تُسمعها نفس الصوت العميق ولاحظي إن كانت ستفهم معنى إيماءاتك.

في بعض الأحيان قد يكون من الصعب أن تشدي انتباه طفلك لفترة طويلة كافية لإسماعها نبرة الجديّة في صوتك أو رؤيتها مرتسمة على وجهك. سوف تتعلّم طفلك احترام إيماءاتك الصوتية إذا كانت متواصلة وواضحة وجدية وإذا كانت العلاقة بينكما مفعمة بالحب والشعور بالأمن. عندما تجذبن انتباه ابتك سيكون لنظراتك ونبرة صوتك الجادة أثراً أكبر مما كان عليه الأمر قبل عدة شهور. باستطاعتها الآن أن تضع هذه الإيماءات ضمن نمط خاص من سلوكك يدلّ على أنّك في وضع جدّي مختلف عن وضع اللعب والمزاح.

عندما تبدأ طفلك بالصراخ والتلوّح بقبضتيها اعلمي أنها ربما تعاني من شعورها بفقد السيطرة أكثر من شعورك بذلك. إنها تحتاج إلى مساعدتك أكثر من أي وقت آخر لكي تستعيد توازنها وأفضل طريقة لمساعدتها هي أن تنزلي إلى مستواها وتتواصل معها بصرياً. دعيها تشعر أنه على الرغم من كونك صاحبة الكلمة إلا أنّك تفهمين انزعاجها.

باستطاعتك أن تشعرها بحرارة عاطفتك ولكن ليس ذلك الدفء الذي اعتادت عليه واحذري أن تجرحي مشاعرها. تجنبي التصرف ببرود أو أن تجعلها بعداً عاطفياً بينك وبينها. في معظم الأحيان ستستمر طفلك في المعارضة لفترة من الوقت وهذا أمر طبيعي ومتوقّع.

عندما تغضب طفلك لا تنفعلي كثيراً، وتذكّري أنك الأكبر والأقوى فلا تشعر بها بأنك تشكّلين خطراً يهدّدها. تحكّمي في طبقة صوتك لكي لا يصل إلى درجة الصراخ. كوني حازمةً معها ولكن بلطف ودعها تشعر بأنك تريدين مساعدتها على التحكم في نفسها. إذا حاولت ضربك أو عضك قفي في مواجهتها وارفعي صوتك قليلاً قائلة: «بدون ضرب» استخدمتي صوتاً أقوى إذا استمرت في ضربك واطهري مزيداً من تعابير الرفض على وجهك.

من المهم جداً أن ترفعي من طبقة صوتك على مراحل بدءاً من 1 أو 2 إلى حدّ عشرة. قد تضطرين للبدء بدرجة صوت تعادل الـ 8 ولكن التدرّج في رفع الصوت يُعطي طفلك الفرصة لكي تشعر بالجدّة المتزايدة في نبرة صوتك. كما أنه يمكنها من أن تُريك قدرتها على الاستجابة لطبقة صوت ألطف من طبقة صوت ضابط الجيش. إذا استخدمت طبقة صوت واحدة وأنت تتحدثين إلى طفلك، أو فشلت في جعل تعابير وجهك ووضعيتك جسديك ملائمة لشدة صوتك فإنك لن تستفيدي من التواصل بالتعابير التي بذلت جهداً لتأسيسها بينك وبين طفلك.

على سبيل المثال: إذا كانت طفلك على وشك أن تُدخل إصبعها المبلول في مأخذ الكهرباء، فإنّ صوتك يجب أن يختلف تماماً عن صوتك عندما تريد أن تأخذ عضّة أخرى من قطعة الحلوى الخاصة بك. من المهم أن تدرك طفلك الفروق في مدى الجدّة التي تضعين بها الحدود، لأنها ستتعلم بذلك كيف تفرّق بين الأخطار الحقيقية والقيود الخفيفة في العالم المحيط بها.

هناك سبب آخر لكي تعرف طفلك مواقفك من تصرفاتها وأنت تضعين لها الحدود، وهو أن إصبعك التي تحذّرين بها أو تكثيرة وجهك ستنبّه طفلك إلى أنك على وشك التدخل في سلوكها قبل أن تضطري إلى ذلك. كذلك إذا راقبت لغة الجسد عند طفلك سترين علامات تتوقعين من خلالها

أنها مقبلة على الوقوع في مشكلة ما. إن تعابير (الشيطنة) على وجهها ستعطيك الوقت لتوجهي إليها التحذير قبل أن تتصرف بشكل خاطئ. هذا النوع من التخاطب بالإيماءات متطور جداً في المملكة الحيوانية فكل من ذكرَي الغزال يوجّه قرونه إلى الآخر أثناء نشوب صراع بينهما ليقوم أحدهما في النهاية بالتراجع وتجنب القتال. كذلك يلعب التواصل بالإيماءات دوراً مماثلاً في إدارة الصراعات بين الناس بشكل آمن.

بإمكانك مساعدة طفلك على الخروج من حالة الانزعاج بإدخالها ثانية في مفاوضات معقدة حول الشيء الذي تريده. على سبيل المثال: إذا غضبت لأنكما دخلتما المنزل وهي تريد البقاء خارجاً لأنها تشعر بالمرح يمكنك أن تهدئها بمساعدتها على أن تبين لك ما الذي تريد فعله. بعد أن تتكلمي معها بصوت هادئ وتعاطفين مع إحباطها يمكن أن تراقبها وتلاحظي إن كانت ستشير إلى النافذة أو تحاول القول «إلى الخارج» أو «أريد الذهاب» قد تندفع إلى الباب وتدق عليه أو تحاول فتحه. من ناحية أخرى إذا شعرت أنها لا تستطيع التعبير عن رغبتها في الخروج من المنزل مرة ثانية حاولي الإمساك بيدها وأخذها إلى الباب ثم ادفعي الباب وشجعها أن تفعل مثلك. سترينها بذلك كيف تجعل رغباتها أكثر وضوحاً.

عندما تعطينها خمس دقائق أخرى من اللعب خارج المنزل ستدرك طفلك أنك تعاطفين مع رغباتها، وأنت مستعدة للاستجابة لإيماءاتها أثناء الحوار بينكما ولكن ليس لغضبها.

سوف تفهم أن التواصل يحقق نتائج أفضل من التذمر الذي لا يهدف إلى شيء. في بعض الأحيان قد لا يكون لديك الوقت لإبداء المرونة مع طفلك وإعطائها خمس دقائق إضافية من اللعب، لأن متطلبات الحياة الواقعية قد لا تسمح بذلك فقد يكون ابنك في انتظارك لكي تجلبه إلى المنزل بعد لعبة كرة القدم، أو يكون القدر على النار قد أوشك على

الغليان. في مثل هذه الظروف يجب أن تضعي حدوداً واضحة ومع ذلك عندما تقولين «لا» بهدوء ولطفٍ سيقل احتمال أن تستجيب ابتك غضبٍ وحتى لو غضبت فستهدأ بسرعة.

ابحثي عن فُرصٍ للمصالحة. استغلي أيَّ إيماءة تصدر عن طفلك تشير إلى استعدادها لذلك - قد تكون الإيماءة بسيطة كأن تضع يدها على كتفك وهي تبكي منفعة - واعتبريها دعوةً منها لإعادة التواصل معها ببطء. تجنبي الاعتماد على الأوقات التي تتركين فيها طفلك لوحدها عندما تبدي الكثير من الغضب أو الإحباط. وإذا اضطرت إلى ذلك أبقِ ابتك معك في نفس الغرفة.

إن الأوقات التي يُعزل فيها الأطفال بشكل تقليدي يتم فيها إبعاد الطفل عن المصدر الذي سبب له الغضب ونقله إلى غرفة أخرى. قد تشعر طفلك أن التعبير عن غضبها يُسبب عزلها بدلاً من احتمال إعادة السرور إليها. إن النوع الآخر من العزل الذي وجدناه أكثر فاعلية يتضمن إيقاف طفلك عن ممارسة النشاط الذي ترغب فيه وإبقائها بقربك بحيث تراك وتسمعك. إن هذه فرصة لك لتعطيتها (محاضرة) باستخدام تعابير وجهك الراضية وصوتك. صحيح أنك بذلك أوقفت سلوك طفلك الغير مناسب لكنك أبقيت على حوارٍ جاد بينكما. وهكذا ولأن العلاقة المستمرة بينكما لم تهدد ستدرك طفلك أنه لا داعٍ للخوف من حصول خلاف بينكما.

إنك لا تفسدين طفلك ولا تزيدين من غضبها عندما تُشعرينها بأنك تفهم قوة مشاعرها. إن تهدئتها بعد عاصفة الغضب التي مرت بها لا يُعتبر إفساداً لها، ووجودكما معاً في غرفة واحدة بعد إيقاف سلوكها الغير مرغوب لا يُعتبر مكافأة لها لأنك قد منعتها من متابعة النشاط الذي ترغب فيه، كما أن تفاعل المستمر معها طوال اليوم وسرورها بهذا التفاعل لن يُشعرها بالحاجة إلى شد انتباهك، لأنها ستعتبر أي تفاعل بينكما نوعاً من الانتباه إلى

وجودها حتى ولو كان حواراً بالإيماءات الجادة المعبرة عن الرفض. إن طفلك ستشعر بالحدود التي وضعتها عندما تمنعها من متابعة نشاط تحبه.

من المهم جداً أن نلاحظ أنه إذا شعرت الطفلة بالمكافأة من خلال أي نوع من الانتباه إليها، حتى لو كان محاضرة جادة، فذلك يعني أنك لا تعطين طفلك وقتاً كافياً للعب على الأرض والرعاية لها. إن هدف الطفلة أن تجذب إليها انتباهاً مفعماً بالحب والمرح فذلك يعتبر بمثابة (حساء الدجاج) في حياتها إذ يشعرها بالاكتماء الداخلي وبالأمن والدفع. إن ذلك سيمكّنها من اختيار نمط الانتباه الذي تحتاجه منك ويمكّنها كذلك من الاختيار أثناء علاقاتها مع أصدقائها ومع الآخرين وهي تكبر سنة بعد سنة.

بشكل عام نحن نمنح أطفالنا عندما لا نضع لهم حدوداً. فخلّف كلّ طفل مائع يوجد شعور بالتعاسة وبال الحاجة إلى الاندفاع أكثر وأكثر لأنه لا يوجد من يضع حدوداً له. ضعي في ذهنك أنه عندما تندلع ثورة الغضب عند طفلك فالقاعدة الأساسية هنا أن تبدأي معها من الدرجة الأولى في سلّم تطورها. ذلك يعني أن الأولوية دائماً هي تهدئة طفلك ومساعدتها على تنظيم مشاعرها السلبية بعد ذلك يجب أن تركّزي على إعادتها إلى التفاعل معك بدفع حقيقي قبل أن تتبادلا الإيماءات وتتواصل معها. وباختصار فإنك ستستخدمين كل المهارات التي اكتسبتها طفلك في المراحل السابقة لمساعدتها على استعادة توازنها.

يتلقى كثير من الآباء والأمهات نصائح مشوشة عن الحاجة إلى الحزم في وضع الحدود للأطفال. إن إتاحة خمس دقائق أخرى من اللعب خارج المنزل عندما تعبّر الطفلة عن رغبتها في ذلك قد يعتبره البعض نوعاً من «الاستسلام» أو تمكين الطفلة من التحكم بوالديها. تذكّري أن أكثر المديرين والمحامين والسياسيين نجاحاً هم مفاوضون أذكياء. إنهم يحلون المشاكل المعقدة بمقاربتها من زوايا مختلفة. يجب ألا تخمدي مبادرات طفلك في

هذه المرحلة المبكرة، وبدلاً من ذلك حاولي أن تفهميها أن هنالك عدة أنواع من الحدود بعضها قابلٌ للتفاوض والآخر لا يقبل المساومة. في النهاية ستتعلم طفلك كيف تستجيب للرسائل العاطفية الخفية التي ترسلينها إليها. إن النبرة الحازمة في صوتك والتعابير الصارمة على وجهك ستُعَلِّمُها أن عليها ببساطة أن تتبع تعليماتك. أما ابتسامتك فستشجعها على المضيّ قدماً في الضغط عليك. إن مرونتك معها ستشجعها على أن تكون إنساناً مرنًا.

عندما تزيد من وضع الحدود لطفلك خلال هذه الفترة من عمرها التي تزداد فيها رغبتها في الاكتشاف يجب أن تضعي في ذهنك مبدأ هاماً. أطيلي دائماً فترات اللعب على الأرض مع طفلك بشكل يتناسب مع زيادة الحدود التي تضعينها لها. إذا أطلت بشكل متعمد فترات اللعب معها سوف تصبح أكثر استعداداً لكي تضع الحدود بنفسها مع مرور الوقت. وما هو أهم من ذلك أنها لن تقاوم كثيراً الحدود التي تضعينها على حرّيتها لأنها لا تعاني من نقص في الشعور بالدفء وفي قابليتك لأن تكوني معها. وكما أنها ستمتع بالدفاع عن نفسها أحياناً إلا أنها سترغب في إسعادك في معظم الأوقات.

التفاعل الاجتماعي مع الأصدقاء

إذا أعطي الأطفال في هذه المرحلة فرصة اللعب مع أقرانهم فإنهم سيستخدمون قدرتهم على فتح وإغلاق دوائر التواصل في الذهاب إلى أبعد من مجرد الجلوس إلى جانب طفل آخر أو اللعب القائم على التقليد.

لقد لاحظنا أطفالاً يستخدمون في تفاعلهم مع أقرانهم كل المهارات التي اكتسبوها في المراحل السابقة بما في ذلك مهارة حل المشاكل. إنهم ينظرون وينصتون ويلمسون (أحياناً بالحاح) وبالتدرج يبنون علاقاتهم باستخدام إيماءات تبعث على السرور وأخرى لا تبعث على السرور بنفس الدرجة. حتى أنهم قد يتبادلون النظرات الغاضبة أو يدفع بعضهم بعضاً إذا

اقتربَ طفلٌ من اللعبة الثمينة لطفلٍ آخر. إن إيماءاتهم قد تتضمن النظرات واللمسات وحتى الترتيبات التي تدلُّ على فضولهم وتعاطفهم. عندما يبلغ الطفل سنة ونصف السنة من عمره ويصبح متآلفاً مع أقرانه من الأطفال سنجده يضحك معهم عند سماع أصواتاً مضحكة. وحتى إن حل المشاكل الاجتماعية بين الأطفال يبدأ في ذلك الوقت وإن كان بتواترٍ أقل وصعوبة أكثر مما يحدث بين الطفل ومن يعتني به.

تشجيع الطفل على أنواع معقّدة من التواصل أثناء انتقاله إلى مراحل جديدة

بعد أن اجتازت طفلكِ مراحل التطور الأربع التي تحدثنا عنها - القدرة على تهدئة نفسها، القدرة على جذب انتباهك، القدرة على تبادل الإيماءات البسيطة والمركّبة - فإنها ستستمر في تطوير هذه القدرات حتى أثناء اكتسابها لقدراتٍ أكثر تعقيداً. إننا كبالغين لا نتوقف أبداً عن استخدام المهارات المبكّرة التي اكتسبناها أثناء الطفولة بل نطوّرها ونضيفُ إليها مهاراتٍ تقوّيها. لذلك نحن كبالغين لا نقلُّ عن أطفالنا في استخدام الإيماءات للتواصل فيما بيننا. وفي الحقيقة نحن نشق بهذه الطريقة في التواصل أكثر من ثقتنا بالكلمات المحكيّة التي نستخدمها أيضاً لأن إيماءاتنا تعلّمناها في وقتٍ أبكر وهي تُستخدم لحلّ المشاكل العاطفية الأساسية. على سبيل المثال إذا كنتِ لوحدي في الظلام وصادفتِ شخصاً غريباً ومُريباً فإنك سترتكسين للتعابير المريبة المرتسمة على وجهه أكثر من ثقتكِ بسؤاله البريء عن الوقت. كذلك إذا كنتِ في حفلةٍ وأثنى أحدهم على مظهركِ وكنت قد لاحظتِ نظرةً الازدراء على وجهه فإنكِ لن تقتنعي بتعليقه المؤدّب.

إننا نستخدم طوال حياتنا هذه الإيماءات التي تعلمناها باكراً لكي ننقل إلى الآخرين مشاعرنا تجاههم، وباستطاعتنا أن نقرأ هذه الإيماءات عند الأشخاص الآخرين لنعرف إن كان شخصٌ ما حزيناً أو سعيداً أو غاضباً،

لطيفاً أو قاسياً، متقبلاً أو رافضاً لنا. إن الكبار يتبادلون خلال تفاعلهم الاجتماعي آلاف الرسائل الإيمائية الخفية. فنحنُ نخبرُ شخصاً ما نكتة مضحكة في حين نستخدم نبرة رسمية تُعبّر عن الاحترام مع شخصٍ آخر، وقد نستغرقُ في الضحك مع شخصٍ ثالث كل ذلك على أساس الوضعيات الخاصة التي تتخذها أجسادهم والتعبير التي تظهر على وجوههم ونبرات أصواتهم. إن هذه الإيماءات تنقل إلينا شيئاً من المعلومات نستخدمها أثناء تفاعلنا مع الآخرين.

إن كل العواطف الأساسية تُقرأ ويُعبّر عنها من خلال هذه الاتصالات المعقّدة الغير لفظية. لذلك من المهم جداً أن تُبدي على وجهك الكثير من التعبيرات أثناء تواصلك مع طفلك إضافةً إلى مشاركتك له في الحوارات اللفظية الطويلة أثناء تقدّمه في مراحل التطوّر اللاحقة. فهو سيحتاج إلى هذه المهارات في تواصله مع أصدقائه بعد سنين قليلة. إن الأطفال يستخدمون الكثير من الإيماءات الخاطفة أثناء تواصلهم مع بعضهم في أوقات اللعب. فعندما يشيخُ طفلٌ ما بوجهه عن طفلٍ آخر يرسلُ له رسالة واضحة معناها «لا تضايقني» وعندها سيعرف الطفلُ مباشرةً أنّ عليه البحث عن طفلٍ آخر ليلعب معه. إذا لم يلتقط الطفلُ الرسالة واستمرّ في طلب المشاركة باللعب فقد يتعرض للسخرية أو يُتخذ كبش فداءٍ لأنه لم يعرف متى ينسحب. نعتدّ خلال حياتنا على التواصل الغير لفظي لننقل معلوماتٍ أساسية عن مدى شعورنا بالأمان أو بالرفض أو القبول من قبل الآخرين. نستخدم هذه الإيماءات أيضاً لنعطي معانٍ جديدة للكلمات الرمزية التي نستخدمها أو لنقوّي من إحياء المعاني التي تحملها هذه الكلمات.

في ممارستنا العلاجية نستخدم المختصر التالي (ك.ف.ش) للتعبير عن (كلمات - فعل - شعور) كطريقة سريعة للإشارة إلى العملية التي تلوّن فيها إيماءاتنا وعواطفنا معاني الكلمات، التي نتلقّطُ بها. إننا نشجّع الآباء والأمهات على ربط الكلمات التي ينطقون بها أو التي ينطقُ بها أطفالهم مع

الإيماءات والمشاعر التي تجعل أطفالهم أكثر قدرةً على تفسير هذه الكلمات. على سبيل المثال عندما تشاركين طفلك اللعب بدُماها باستطاعتك أن توجَّهي الحوار مع هذه الدمى إلى التعليق على رغبتها المفاجئة في النوم أو لماذا قرَّرت أن تبدل ثيابها. بإمكانك أن تتحدثي عن الأحداث التي تتضمنها الدراما التي تمثليها مع ابتك بدلاً من مجرد الكلام بدون هدف. إن الحوارات التي تُستخدم فيها (الكلمات - الفعل - الشعور) سوف تشد انتباه طفلك لأنها تُشرك فيها مشاعرهما وكلماتها وعضلاتها وتعطيها مزيداً من الفهم للكلمات التي تسمعها.

إن تشجيع التواصل بالإيماءات المعقدة لن يفسح المجال أمام طفلك لتطوير أفكارها من خلال التمثيل وحسب، لكنها ستسهل انتقالها إلى مرحلة التواصل بالكلمات. في كل مرة تفتح فيها طفلك وتغلق ثلاثين إلى أربعين دائرة من دوائر التواصل بالإيماءات بشكل متتابع، تكون قد عبَّرت عن أمنية أو رغبة يمكن تلخيصها بكلمة أو كلمتين. في الحقيقة يمكن اعتبار الكلمات كطريقة مختصرة للتعبير بالإيماءات فعندما تنظر طفلك في عينيك ثم تأخذ بيدك وتجرُّك إلى طاولة المطبخ، وتقفز وهي تشير إلى التفاحة فكأنها تقول لك بلغة الإيماءات «أريد تفاحة!».

عندما تُرفقين كلماتك بتعابير وجهك ووضعيات جسدك المناسبة لمعناها ستفهم طفلك بالتدريج معنى كلماتك بدون الإيماءات المرافقة لها. عندما تتمكن أخيراً من استخدام الكلمات والأوامر للحصول على ما تريده بأن تصبح «أريد تفاحة!»، ستكون كلماتها تلخيصاً لكل الخطوات الصغيرة التي كانت تقوم بها للحصول على التفاحة.

مع الوقت ستصبح كلمة «تفاحة» أكثر من مجرد كلمة تُستخدم للحصول على واحدة من الفاكهة. إن الطفلة التي تردد كلمة «تفاحة» تعلم أيضاً أنها قد تفضّل التفاحة الحمراء اللامعة على التفاحة الصفراء وأنها أحياناً

تحبُّ أن تدحرج التفاحة مثل الكرة تماماً وتستطيع طفلتك الآن أن تُرفق صفات أخرى بالتفاحة فـللتفاح مذاقات مختلفة وألوانٌ مختلفة ومن الممتع اللعب به .

خلال كل مرحلة من مراحل حياتنا يكتسب عالم الإنسان اللفظي الرمزي معانٍ وقيم جديدة طالما أن الجوانب الإيمائية والعاطفية من التواصل مع الآخرين لا يتم إهمالها . إنَّ فهمنا الحالي للطريقة التي تتطور فيها اللغة عند الأطفال هو أنَّ الطفل ينتقل من مرحلة التعبير بالإيماءات والحركات إلى مرحلة استخدام الكلمات عن طريق خطوتين : أولاً يستخدم الطفل الكلمة لتلخيص فعلٍ معين «أريد تفاحة» بعد ذلك يصبح للكلمة معناها الرمزي المنفصل عن أيِّ فعل . بالنسبة لطفلٍ في الثالثة من عمره قد تعني التفاحة الطعمَ الحلو أو الحامض . وبالنسبة لطفلٍ في الرابعة قد يتسع معنى التفاحة ليشمَل الشيء المدوَّر الذي يمكن أن ترمي به أخاك عندما تغضب أو قد تكون مسكناً للدود . وبالنسبة لصاحب مزرعة تمثل التفاحة مشروعاً مربحاً أمّا بالنسبة لرجل الدين فقد تمثّل التفاحة «جنة عدن» لقد انتبه اللغويون وعلماء نفس التطور إلى هذا التطور الذي يطرأ على استخدام الكلمات في الترميز أثناء تعلم الأطفال اللغة ولكن ما لم يتم فهمه إلى الآن هو كيف يكتسب الأطفال هذه القدرة الهائلة على الترميز . لقد وجدنا من خلال أبحاثنا أنَّ إضافة معانٍ جديدة إلى الكلمات يتحقق من خلال التجربة العاطفية . إن كل تجربة عاطفية جديدة مقترنة بكلمة أو مفهوم سوف تقوِّي معنى هذه الكلمة أو المفهوم . إننا من خلال اجتماع الكلمات والأفعال والمشاعر نغذي باستمرارٍ ونوسّع معاني اللغة التي نستخدمها .

إن الكبار الذين لم يشاركوا بما فيه الكفاية في التواصل مع الآخرين عن طريق الإيماءات عندما كانوا أطفالاً سوف يعانون من مشكلات في التعامل مع بعض المفاهيم المجردة . كثيرٌ من الكبار أثناء العلاج النفسي يجدون صعوبةً في تحديد رغباتهم ومشاعرهم . وقد يخطئ المعالجون عندما

يحاولون مساعدتهم في تسمية مشاعرهم «هل كنت سعيداً» أو «هل تشعر بالحزن» مفترضين أن المرضى يستطيعون تمييز وفهم أفعالهم ومشاعرهم. أثناء محاولة المعالجين النفسيين مساعدة مرضاهم على فهم العلاقة بين الماضي والحاضر واكتساب «البصيرة» قد يبالغون في تقييم قدرة مرضاهم على الإحساس بطيف واسع من المشاعر. قد يفترض المعالج أن مريضه قد اكتسب مهارة (الكلمات - الفعل - الشعور) التي تحدثنا عنها سابقاً.

لقد اكتشفنا أنه إذا لم تكن كلمات مرضانا مرتبطة بالمشاعر وبذكريات عن خبرات عاطفية تفاعلية حقيقية فإن الكلمات المجردة مثل (سعيد، حزين) التي نستخدمها كثيراً في العلاج قد لا يكون لها معنى عميق عند الشخص المعالج. خلال جلسات العلاج اكتشفنا أن بعض المرضى لديهم تجارب تفاعلية مع عواطف معينة أكثر من عواطف أخرى. فقد يتذكرون تبادلاً دافئاً مع آبائهم وأمهاتهم عندما كانوا صغاراً لكنهم لا يتذكرون إلا القليل من النقاشات حول بعض المشاعر كالعدوانية أو العناد. لقد ظننت عائلاتهم أن هذه المشاعر قد تكون خطيرة أو مخيفة ولذلك تجنبوا التعبير عنها مع أطفالهم وفيما بينهم.

لقد كبر هؤلاء الأطفال دون أن يطوروا مخزوناً من الإيماءات أو قدرة على التعامل براحة مع هذه المشاعر المتجنبة أو «الممنوعة». لقد لاحظنا خلال جلسات العلاج أنه في كل مرة يتحدث فيها هؤلاء المرضى عن مشاعر الغضب أو العناد فإن نبرة صوتهم ولغة جسدهم لا تعبر عن هذه المشاعر. لقد شرحنا في كتاب «العلاج النفسي المرتكز على التطور» وهو كتاب يعطينا نظرة جديدة إلى تطور الإنسان تمكنا من تحسين عملية العلاج النفسي، شرحنا طرقاً للتعامل مع هذه التحديات.

إن الإيماءات التي نتبادلها مع أطفالنا ليست مجرد لعب أطفال. فبدون تأسيس قاعدة صلبة من الإيماءات المعقدة تبقى ذخيرة الإنسان من الكلمات

وقدرته على التعامل مع عواطفه محدودة. كثيرٌ من البالغين يجدون صعوبة في التعبير عن بعض الكلمات المجردة كالغضب والوحدة والعدوانية والسلبية. عندما نعيد تمثيل مراحل التطور العاطفي المبكرة عند هؤلاء البالغين ونقوّي تبادل الإيماءات معهم فإننا نساعدهم أيضاً على الإحساس بالمشاعر بشكل أكمل وأغنى.

إن تبادل الإيماءات والرسائل العاطفية هي خبرةٌ قوية التأثير في نفس الطفل. فهي تمكّنه أولاً من الإحساس بالمشاعر (من خلال تفاعله مع الآخرين) وثانياً من وصفها لنفسه أو للآخرين كأفكار. إذا لم يمارس الطفل الإحساس بالمشاعر عن طريق التفاعل مع الآخرين فمن المستحيل أن يستخدم الأفكار لمعرفة المشاعر. إن الحوار بالإيماءات الذي يعبر عن طيف واسع من المشاعر خلال هذه الأشهر من الطفولة سوف يدعم فهم طفلك للمعاني المجردة.

رفع العائق

كيف تقوّي الحوارات الإيمائية المعقّدة الجهازَ العصبي لطفلك:

بما أن طفلك تستطيع الآن أن تعبّر باستخدام الأصوات والإيماءات كما أنها تستطيع أن تنتقل بشكل مقصود من مكانٍ إلى آخر فهي أكثر قدرة على تحويل أمنيّاتها إلى خطط عمل.

إن استخدامها لحواسّ اللمس والنظر والسمع في التواصل معك واعتمادها على ردود أفعالِك وعضلاتها للوصول إلى ما تريده سوف يدعم نموّ دماغها وقدرتها على القيام بأفعالٍ معقّدة.

عندما تشاركين مع طفلك في حوارٍ بالإيماءات فإنك تحرّضين نمو الدماغ عندها وتساعدينها على استخدام قدراتها العاطفية - الاجتماعية والحسيّة - الحركيّة وقدرتها على القيام بأفعالٍ متتابعة، وعلى تحديد المكان

وقدراتها السمعية واللفظية والمعرفية بشكل متكامل. إن تفاعلِك مع طفلكِ مهمٌ جداً فمفاوضاتك الهزلية معها تعلّمها تمييز الأنماط وحل المشاكل بشكل فعالٍ أكثر بكثير من محاولة تعليمها كيف تسلكُ سلوكاً معيناً. إضافةً إلى أنَّ اللعب معها وحلَّ المشاكل فعّالٌ أكثر من محاولتك نقل المعلومات إليها من طرفٍ واحد. كما ذكرنا سابقاً إن طفلكِ تتعلّم التفكير باللعبِ معها وليس بإعطائها بطاقاتٍ ملوّنة أو تمارينَ تتلقّاها تلقياً. إن اللعب هو الأهمُّ خلال هذه الفترة وسيكون هناك الكثير من الوقت في المستقبل للتركيز على تعلّم الحقائق الجامدة ومن المثير للاهتمام أنَّ الحقائق التي يتمُّ تعلّمها عن طريق حلّ المشاكل تُفهم وتُحفظ أكثر من تلك الحقائق التي تُعلّم عن طريق الاستظهار.

هناك طريقة أخرى تساعد في طفلكِ على تقوية كُلِّ أجزاء جهازها العصبي وهو أن توسّعي تفاعلاتكِ وألعابكِ معها. عندما تبدي طفلكِ استعداداً للمرح العبي معها مباشرةً واتبعي النشاط الحسيّ أو الجسدي الذي تفضّله. لا شيء يدفع الطفلة أكثر من رغباتها لذلك اتبعي رغباتها البصرية والسمعية والأوضاع التي تحبّها أثناء لعبكما معاً. إنَّ ألعاب التقليد تُبهج الأطفال عادةً فإذا كانت طفلكِ تتمنّع برفع يديها على سبيل المثال حاولي أن تقلّديها، بإمكانكِ بعد ذلك أن ترخي ذراعيكِ وتضعيهما على بطنكِ، لاحظي إن كانت طفلكِ ستقلّدكِ. قد تصبح بعد ذلك مستعدّة للقيام بالمزيد من الإيماءات المعقّدة وستحاول تقليدكِ وأنتِ تلمسين أنفكِ وأذنكِ. عندما تبدأين بسلوكٍ يسهّل على طفلكِ القيام به كرفع اليدين فإنها ستشعر بالسُرور والإثارة الناجمتين عن تقليدكِ قبل أن تُواجه بتحدياتٍ تحريك عضلاتها بطرقٍ أكثر تعقيداً.

إذا كانت طفلكِ تحب صوتها وتحب تقليد أصوات الحيوانات حاولي أن تبدأي حواركِ معها انطلاقاً من هذه الأصوات. دعها تقودكِ في لعبة تبادل أصوات الحيوانات ثم ادخلي ببطء بعض النشاطات البصرية واللمسية

والحركية إلى هذه اللعبة. حاولي أن تستخدمي أنواعاً ذات ملمس مختلف من المواد - مثل المحارم والرمال - أثناء مشاركتك لها في لعبة أصوات الحيوانات. اجعلي الكلاب النابحة أو الأبقار التي تخور تتسلق تلة صغيرة من الرمل أو تظاهري بأنها تلف نفسها في قطعة ناعمة من المخمل في الدراما التي تمثلينها مع ابنتك.

إن هذه الطريقة تدفع ابنتك لاستخدام حاسة اللمس أثناء تبادل الإيماءات معكِ. ويمكنك أن تستندي على الأرض باستخدام أطرافكِ الأربعة وتقلدي مع ابنتكِ وضعيات الحيوانات المختلفة. المهم أن تشجعي ابنتكِ على استخدام أكبر عدد ممكن من حواسها ومهاراتها الحركية أثناء تفاعلكما ومحاولتكما حل المشاكل وتذكّري أنّ طفلتكِ تلتقط الطعم دائماً إذا تركتها تقودكِ أثناء لعبكما على الأرض معاً.

لقد آن الأوان لتسألني نفسك ما هي أكثر السلوكيات الاجتماعية والعاطفية واللغوية التي تبرع فيها طفلتكِ؟ إذا كانت لا تزال تلعب ألعاب اختلاس النظر البسيطة وهي في الشهر الثامن عشر من عمرها فقد آن الأوان لإدخال بعض التعقيدات العاطفية والاجتماعية إلى ألعابكما المشتركة. حاولي أن توسعي لعبة اختلاس النظر من لعبة بصرية بسيطة إلى تفاعل بصري أكثر تعقيداً باستخدام بعض الحيل. خبئي اللعبة التي كانت تحملها تحت السجادة ولاحظي إن كانت ستبحث عنها. بإمكانك مساعدتها على إيجاد اللعبة بأن تغيري صوتك ليصبح مشابهاً لصوت لعبة وترددي «أنا هنا.. أنا هنا.. تعالي واعشري عليّ» إنّ إغراء طفلتكِ باستخدام حاستها البصرية النامية ثم إضافة بعض الأصوات التي ستشجعها على متابعة حركاتها بطريقة تقربها من لعبتها سوف يمكنها من تحقيق التكامل بين حواسها والقيام بأفعال مخطّط لها. بشكل مشابه إذا كان المشي والركض هو مبعث السرور عند طفلتكِ اعتمدي على ألعاب المطاردة أثناء تفاعلكِ معها. إذا لاحظت أنّ طفلتكِ انحرفت بحياء أثناء متابعتكِ لها واتجهت إلى غرفة أخرى انضمي إليها في لعبة

مطاردة. اهتفي واصدري الأصوات أثناء مطاردتك لها ولا حظي إن كان ذلك سيزيد من حماسها ويدفعها إلى إصدار بعض الأصوات. اختبئي فجأة خلف الأريكة ودعيها تعثر عليك. عندما تساعدني طفلتك على إشراك المزيد من حواسها وعضلاتها في ألعابكما وحواراتكما التي تزداد تعقيداً ستصبح جاهزة للارتقاء خطوة أخرى على سلم التطور.

إطالة أمد التفاعل مع طفلك

إن قدرة طفلك على المشاركة في محادثات إيمائية أطول يعتمد على مدى تنبُّهها. فالفترة التي تستطيع فيها الانتباه بشكل متواصل لا تزداد بشكل سحري وإنما تدريجياً كلما أضفت دائرة تواصل إلى محادثتكما أو لعبكما معاً. عندما تساعدني برسائلك طفلك على فتح وإغلاق دوائر التواصل ستكسب خبرة في البقاء منتبهة لفترة أطول لأن الطفل الذي يقوم بأفعال هادفة هو بالتعريف الطفل المنتبه. إذا رفعت درجة الصعوبة في لعبك مع طفلك - على سبيل المثال: أن تختبئي في أماكن تزداد صعوبة كشفها تدريجياً أثناء لعبة الاختباء والبحث - فإنك ستقودين طفلك بلطف نحو أنماط من التفاعل أكثر تعقيداً. وكلما أطلت فترة التفاعل معها ستكتسب المزيد من الفرص لتمارس مهاراتها في حل المشاكل.

إحدى الطرق لتنشيط التفاعل مع ابنتك هي أن توفر لها عدة خيارات. فإذا أردت أن تلعب معها لعبة البحث عن اللعبة المخبأة وسعي البحث ليشمل عدة غرف أو خبيري طفلك بين عدة ألعاب قبل أن تختاري واحدة. بإمكانك أن تبحثي في علبة الألعاب الخاصة بها وترسمي على وجهك تعابير الاستفسار في كل مرة تمسكين فيها لعبة من هذه الألعاب. إن بعض الأسئلة مثل «ماذا عن - جاك في الصندوق» أو «هل تريدان اللعب مع بيرني اليوم» سوف تشجع طفلك على الاختيار. قد تستمر بهز رأسها إشارة إلى الرفض أو قد تقول «لا» بصوت عالٍ أو حتى أنها قد تلتقط كل لعبة

وتفحصها قبل أن تلقي بها جانباً. عندما تتفحص المطبخَ معاً بحثاً عن وعاءٍ مناسب لتلعبا به في حوض الحمام اعرضي على طفلتكِ خياراتٍ واضحة. فعندما تقولين «هل تريدين الكأس أم القدر» أو «هل تريدين اللعب بالصندوق المكعب أو الزبدية المدوّرة» وأنت تُرينها أنواعاً من الأوعية سوف تطيلين بشكل فعال الحوارَ بينكما. إن المفتاح هنا أن تساعدِ طفلتكِ على الإحساس بالقدرة على القيام بأفعال هادفة والتحكم بنشاطاتها في حين تكتسب المزيد من الممارسة في إرسال واستقبال الرسائل الإيمائية.

هناك طريقة أخرى لإطالة فترة اللعب مع طفلتكِ بلطفٍ وإغناء الحوارات الإيمائية بينكما وهي أن تتظاهري بسوء الفهم مثل المحقق التلفزيوني كولومبو. قد يكون من القسوة نوعاً ما أن تتعمّدي إحباط طفلتكِ لكننا في كل وقتٍ نتظاهر فيه بأننا لا نفهم ما يريده أطفالنا أو نشجعهم على أن يسألونا عن شيءٍ ما مرّةً ثانية نحنُ نبني قدرتهم على التواصل الإرادي معنا. إن الطفلة بهذه الطريقة ستشجّع على التعبير عن رغباتها بعدة طرق. إذا بقيت مهتمةً بطفلتكِ ومشجعةً لها وجعلتها تفهم أنك تبذلين ما بوسعكِ لفهمها فأنتِ بذلك لا تقسين عليها بحيث تقطع التواصل معكِ.

إذا لم تنجح مفاوضاتكِ مع طفلتكِ من حينٍ لآخر، توقفي وعانقها وأعطيها ما تريد، باستطاعتكِ المحاولة ثانية في يومٍ آخر. هناك عدة طرق لإظهار عدم الفهم أمام الأطفال. فإذا أصدرتِ طفلكِ ضجّةً تعبّر فيها عن رغبتها في الخروج من المنزل وأخذت بيدكِ إلى الباب لا تفتحي الباب مباشرة. أظهري تعابير الاستفهام على وجهكِ وارفعي كتفيكِ مُتَعَجِّبةً واسألي طفلكِ «ماذا تريدين» إذا دَفَعَتِ الباب وهي تقول «خا.. خا» تقصد «خارجاً» هزّي رسكِ وقولي «أوه، فهمتُ الآن، تريدين أن تخرجي من المطبخ إلى غرفتكِ.. حسناً» إذا هزّتِ رأسها إلى الجانبين بعنفٍ وسحبكِ إلى الباب الخلفي مرّةً ثانية كافئها بابتسامةٍ عريضة وقولي لها «طبعاً، أنتِ تريدين الخروج إلى الحديقة». إن العقبات التي تضعينها بين طفلكِ وأهدافها يجب

ألا تكون عقبات تعجيزية وإنما تحدّيات تدفعها إلى ممارسة التعبير عن رغباتها.

بإمكانك أن تُدخلي التفاوض في كثير من أنواع التفاعل بينك وبين طفلك. فمثلاً إذا جلست طفلك التي تبلغ الشهر السادس عشر من عمرها القرفصاء أمام مكعباتها ونظرت إليك أسأليها «هل أنت متأكّدة أنك تريدين اللعب بمكعباتك الآن؟» ثمّ أشيري إلى لعبة القطار الموضوعة على الرف وقولي لها «ما رأيك بلعبة القطار تشو - تشو؟» إذا ضربت مكعباتها ببعضها بإصرار وتجاهلت خطّتك البديلة انظري في عينيها وقولي لها «ما رأيك بأن نلعب بالكرة الزرقاء الكبيرة معاً» إذا ذهبت وأحضرت الكرة وغضبت طفلك وشدّتك إلى الأرض حيث مكعباتها المتناثرة ردّدي بشكل واضح «لقد فهمت الآن إنك تريدين اللعب بمكعباتك اليوم، سيكون ذلك ممّتعاً» وبهذا تكونين قد نجحت في إطالة أمد الحوار بالإيماءات بينك وبين طفلك وقوّيت مهاراتها في التواصل في الوقت ذاته.

إذا أردت أن تلعب معها لعبة الحصان تظاهري أن الحصان قد نسي مكان الحظيرة ودعي طفلك تشير وتريك الطريق. إذا كانت طفلك تحب أن يسرع بها الحصان تظاهري بالتعب ولا حظي إن كانت طفلك ستركلك بعقبها أو ستحثك على الإسراع. إذا حان الوقت لفتح الثلاجة وإعطاء طفلك قطعة الحلوى التي وعدتها بها تظاهري بأنك تبحثين في الرف الخاطئ وتدعيها تشير بإصبعها أو تستخدم ألفاظها أو تشد يدك إلى المكان الذي توجد فيه الحلوى. باختصار، عندما يكون المزاج مناسباً بإمكانك أن تعلّمي طفلك عن طريق اللعب وأن تشدّيها بلطف في اتجاه استخدام إيماءات أكثر تعقيداً. إذا ظلّت طفلك تبتعد عنك بشكل متكرّر وهي تدفع سيارتها على السجادة أفقزي واعترضي طريق السيارة التي تلعب بها. إذا كانت غاضبة منك فعلاً ووضعت وجهها باتجاه السجادة لتجنب التماس البصري معك باستطاعتك أن تمثلي دور البطانية الناعمة وتقومي بتغطيتها.

اجعلي جسمك يحيط بجسمها، وأخبريها أنها تبدو باردة قليلاً وأسأليها إن كان الالتحاف ببطانية وهمية سيُشعرها بالدفء. حتى لو دفعت بك بعيداً ستكونين قد نجحتِ باستخراج تعابير منها عن مشاعرها أكثر وضوحاً وأعطيتهما الفرصة لتعبّر بوضوح عما في داخلها.

توسيع المجال العاطفي عند طفلك

هناك طريقة أخرى لزيادة قدرة ابنتك على استخدام مهاراتها الغير لفظية في التواصل، وذلك بتدريها على التعبير عن طيف كامل من العواطف. أسأليها إن كانت سعيدة ومتحمسة. هل بإمكانها أن تغضب ثم تهدأ ثم تغضب ثانية ثم تطلب أخيراً القرب منك خلال نفس فترة اللعب بينكما؟ هل تستطيع أن تكون مستكشفة ومصممة ثم تطلب بعد ذلك بقليل الدفء الالتصاق بك؟

لكل إنسان الرغبة والحاجة لأن يكون هجوماً في بعض الأحيان، لذلك ساعدي طفلك على أن تجد طرقاً مقبولة للقيام بذلك. افترضي أنك وجدت الصفحة الأولى من الجريدة الصباحية ممزقة ومتناثرة في كل أنحاء غرفة الجلوس. أدركت فجأة أنك فقدت صوابك قبل عشرين ودقيقة وثررت في وجهها لأنها كسرت أحد الأكواب، نتيجة لذلك شعرت طفلك بالغضب ونفست عن غضبها بتمزيق الجريدة. كيف تُعلمين طفلك أن ما فعلته كان خطأ ولكن الشعور بالغضب استجابة لصراخك في وجهها هو أمر مشروع؟

أولاً، خذي نفساً عميقاً وانزلي إلى مستواها بحيث يقابل وجهك وجهها. وأنت تحاولين إعادة التواصل معها أعلميها أنك تتفهمين غضبها ولكنك لا توافقين على الطريقة التي عبّرت بها عن هذا الغضب. أريها الورقة الممزقة وهزي رأسك تعبيراً عن معرفتك بأنها هي الفاعلة. قللي لها «هل أنت غاضبة من ماما» قد لا تفهم كلماتك لكنها ستلتقط قصدك ثم أظهري لها بإصبعك أو بأي إيماءة أخرى أن تمزيق الأوراق أمر مرفوض. إذا

كانت طفلتك قد بدأت باستخدام الألفاظ ساعديها على استخدام كلمة «أنا غاضبة» وحافظي على هدوءك ولطفك معها. عندما تعيدين التواصل مع طفلتك وتهديئها فأنت بذلك لا تمنعها من إبداء غضبها في بعض الأحيان، وما أن تنجحي في تهدئتها ستكون فكرة جيدة أن تدعيها تشاركك في لم مزق الورقة المبعثرة في أنحاء الغرفة، إن ذلك سيفرغ ما تبقى من الشعور بالتوتر عندها وسيشعرها بالمسؤولية عن جمع الأوراق التي بعثرتها.

لا شك أن التفاعل مع الطفلة بطريقة تشبه الطريقة التي ذكرناها سابقاً سيستغرق بعض الوقت وسيحتاج إلى شيء من الصبر لكنه مفيد جداً في بناء إحساس عند طفلتك بأن المشاعر السلبية لا تدعو إلى الخجل ويجب ألا تشل الإنسان. عندما تُعَدِّين نفسك لتحمل طيف واسع من المشاعر - السلبية والإيجابية - وأنت تتفاعلين مع طفلتك فأنت تقوين قدرتها على أن تُكامل بين مشاعر الغضب والسعادة عندها.

إن رغبتك في شدّها ثانية إلى التقارب الجسدي معك سوف يزيد من قدرتها على التواصل الحميم. ستعرف أن شعورها بالغضب وحتى سلوكها الغاضب في بعض الأحيان ليس أمراً فظيماً ما دام بابا وماما لا يزالان يعانقانها. عندما تواجهين المشاعر السلبية عند طفلتك وتشجعينها على التعبير عن هذه المشاعر بطرق بناءة وليست هدامة فأنت تساعدنها على ربط المشاعر السلبية أو غير المريحة بالحلول التي تحتاج إلى سلوك يتجلى فيه التصميم وليس التخريب. إنك تعطينها الفرصة لإيجاد طرق بديلة تعبر فيها عن مشاعرها السلبية وهذه من أقوى أدوات التلاؤم التي يمكن أن تزودي بها طفلتك.

الدقائق السحرية

أوجدي أوقاتاً خاصة خلال يومك المزدهم تتواصلين فيها مع طفلتك. إذا دخلت في حوار مع ابنتك حاولي أن تحافظي على تركيزك، فإذا تشئت انتباهك بسبب تفكيرك بالملفات التي تركتها في المكتب أو الأغراض التي

تريدين شراءها للعشاء، فإنك غالباً ستضيّعين الفرص في إطالة الحوار بالإيماءات بينك وبين طفلك وفي جعل التفاعل بينكما أكثر تعقيداً. إذا شعرت بالملل تبادل الأدوار مع طفلك أثناء لعبك معها. فإذا كنت تعلمينها كيف تبني برجاً مؤلفاً من ثلاثة عشر مكعباً هذا الأسبوع أعلني اليوم أنك تشعرين نفسك طفلة ولا تتذكرين كيفية اللعب بالمكعبات. استلقي على الأرض، وقلّدي أصوات الصغار وراقبي نظرات السرور على وجه ابنتك ودعيها تعلمك كيف تلعبين بالمكعبات. إن كلاً منكما سيتمتع بتبادل الأدوار هذا.

هناك طريقة أخرى لإيجاد دقائق ذهبية خاصة بينك وبين طفلك وهي أن تشجعها على التواصل معك وهي في غرفة أخرى أو في الطابق العلوي. إن هذا النوع من الحوارات يُشعرها بالأمان حتى لو كانت بعيدة عنك جسدياً، ويشجعها على التصميم والاكتشاف. إن الطفل القادر على التواصل من مسافة بعيدة مع شخص يحبه يشعر وكأنه محاط بغطاء عاطفي من الأمان. إن الأصوات والنظرات التي تتبادلينها مع طفلك عبر الغرفة تُشعرها بالرضى تماماً وكأنها تجلس في حضنك وتلمسك وتشم رائحتك المألوفة لديها.

ومع الممارسة سيتمكن كل منكما من المحافظة على تواصل مرضٍ وعميق. تستطيع طفلك الآن أن تستخدم قدرتها على السماع والنظر وإصدار الأصوات لكي تشعر بالاستقلالية والأمان في نفس الوقت. باستطاعتها الآن أن تحصل على قطعة الكاتو وأن تأكلها أيضاً.

بداية الإحساس بالذات

لقد أصبحت طفلك «فاعلة» مُذهلة خلال هذه المرحلة من تطورها. إنها لا تستطيع أن تُترجم نواياها إلى أفكار أو كلمات ولكن عندما تشعر بإحساسات يمكن أن تُترجم كما يلي «إن معدتي تفرقر وأنا جائعة» فإن هذه

الإحساسات تثير عندها الرغبة في القيام بفعلٍ ما. قد تركض إلى المطبخ أو تأتي إليك وتشدُّ كَمَلِكٍ وهي تصيح. قد تشعر بعدة مشاعر في ذات الوقت فقد تشعر بالجوع والازعاج معاً. عندما تربط هذه المشاعر بنمطٍ سلوكيٍّ معين فإنها سوف تُشركُك في سلسلة معقّدة من التفاعلات للحصول على ما تريده.

كذلك سوف تشعر طفلتك بالرضى عندما تتعاطفين معها وتستجيبين للإشارات التي تصدرها. إن نظرة الاهتمام التي تبدينها وكلماتٍ مثل: «أوه، أريني ما الذي تريدينه» سوف تساعد على التخفيف من قلقها. وما أن تحصل منك على كأس الحليب بإمكانك أن تزيدي من شعورها بالرضى بحملها ووضعها في حضنك وهي تشرب كأس الحليب. إن طفلتك الآن قادرة على الشعور بعدة مشاعر بما في ذلك الحاجات والأمنيات والتوقعات كما أنها تتعلم كيف ترضي هذه الرغبات. إن الحاجة أو الأمنية تقود إلى توقع ثم إلى شعور بالرضى ثم أخيراً إلى مزيدٍ من التوقعات تحتاج إلى تليبيتها في المستقبل. عندما تريد الطفلة أن يُعانقها والدها سوف تتوقع حصول ذلك العناق وعندما تكون جائعة سوف تفترض أن والدتها ستساعدها بالعثور على الطعام.

خلال كل تلك الإيماءات المتبادلة ستلاحظين نشوء الشعور بالذات عند طفلتك. تذكرني أن إحساسنا بمن نحنُ يعتمدُ على أمنياتنا ورغباتنا ونوايانا الداخلية. إننا نشعر بهذا المزيج من المشاعر المختلفة بما نعرفه في النهاية على أنه «الأنا». إن طفلتك القادرة على حل المشاكل لم تعد مجردَ قِطْع منفصلةٍ من سلوكٍ هادف أو حتى مجموعَ تصرفاتها المنفصلة. لقد بدأت تضمُّ تلك القطع من الخبرات إلى بعضها لتشكل أنماطاً أكبر هي «الأنا» و«أنت».

إن الطفلة الآن تملك «الأنا» التي تعرفُ أنها إذا كانت جائعة

فباستطاعتها الحصول على بعض الحليب. وأنها إذا أرادت العناق فباستطاعتها الحصول عليه.

ما يجب فعله وما لا يجب فعله أثناء رفع العائق

شاركي طفلكِ بسلاسل طويلة من التفاعل تتعلق بكل اهتماماتها. دعي طفلكِ تكتشف طيفاً من المشاعر: كالإثارة والسرور والفضول والقرب والغضب والدفاع ووضع الحدود. دعي طفلكِ تشعر بمشاعر مختلفة خلال نفس فترة اللعب، وهكذا تستطيع أن تجعل المشاعر المختلفة جزءاً من شعورها بذاتها. دعي طفلكِ تعرف ما الذي تتوقعينه منها من خلال سلوككِ كما يفعل شرطي المرور في توجيه السير. استخدمي تعابير الوجه ووضعيات الجسد ونبرة الصوت. دعي طفلكِ تُجرب حلّ المزيد من المشاكل المعقّدة، كأن تجدكِ خلال لعبة البحث والاختفاء. دعي طفلكِ تُريك من خلال إيماءاتها ما الذي تريده. لا تسمّي طفلكِ بالسيّئة أو الجيدة. لا تركّزي فقط على اللعب بالمكعبات أو الصور المقطّعة أو اللعب التي تعتمد على السبب والنتيجة. لا تنشغلي كثيراً بتعليم طفلكِ الانضباط وكيف تسيطر على سلوكها.

خلال هذه الأشهر سوف تدرك طفلكِ بالتدريج أن أمّها وأباها ليسا الشخصين اللذين يزودانها بالحليب أو العناق فقط، وإنما يمكن أن يحذّراها

بكلمة (لا ! لا)، وأن يضعها قيوداً على تصرفاتها في كُلِّ وقتٍ تعرّض فيه نفسها للخطر.

كلّما شاركك طفلك أنواعاً مختلفة من الأنماط السلوكية الهادفة عاطفياً ستتطوّر لديها صورة أكثر تعقيداً عن من وماذا تكون وعن من وماذا تكونين.

عندما كانت طفلك في الشهر الثامن من عمرها كانت تشعر بالتأكد بالمشاعر والرغبات (كشعورها بالحاجة إلى الطعام عندما تكون جائعة)، لكنها لم تكن تملك وقتها القدرة على وضع هذه القطع من الخبرات في نمط واحد. حتى عندما كانت في الشهر الثاني عشر من عمرها كانت ما تزال تشعر بالمشاعر وكأنها أجزاء منفصلة.

إن نفسها الغاضبة ونفسها الراضية لم تكونا جزئين من كيان واحد وإلى حدّ كبير فإن هذه الجوانب من شخصيتها لم تلتئم مع بعضها، وبالتالي ما تزال منفصلة كلاً على حدة. عندما تسبب لها الغضب ستراك شخصاً مُزعجاً وعندما تعانقها ستراك مصدراً للحب والارتياح. والذي لم تدركه بعد بشكل كامل هو أنك وهي كنتما الشخص نفسه في كلا الموقفين.

عندما تصبح طفلك قادرة على تنظيم ومتابعة مشاعرها وتصرفاتها بطريقة هادفة تستطيع عندها أن توحد القطع المبعثرة من العواطف والمقاصد والدوافع في شعورٍ موحدٍ بشخصيتها الكاملة ببلوغها سنة ونصف من العمر ستشعر طفلك بالغضب وفقدان الصبر وأخيراً بالسعادة مرّة ثانية في نفس فترة اللعب بينكما وستبدأ بتمييز الأنماط.

إنّ كلاً من هذين التطورين سيساعدها على تشكيل شعورٍ أكثر تكاملاً وأقل تفككاً بمن هي ومن أنت. والآن عندما تطلب مساعدتك في الحصول على كوبٍ من الحليب ستدرك أنّ كلاً من غضبها لكونها جائعة وسعادتها حين تمتلئ معدتها هما جزءان من ذاتها.

ستدرك طفلتك عندما تبلغ الشهر الثامن عشر من عمرها أن «الأنا» الغاضبة و«الأنا» المحبة هما ذات الشخص. وتستدرك أن الأشخاص الذين تثق بهم يمكن أن يغضبوها أحياناً إذا سارت الأمور على ما يرام فإن شعورها بالحاجة للاعتناء بنفسها وبالأخرين سيتشابه مع شعورها بذاتها وستتحكم بانفعالاتها حتى لو كانت محبطة وغاضبة.

هذا الشعور الناشئ بالذات يتكوّن من مجموعة من النوايا والمشاعر التي ينشغل الفلاسفة وعلماء الأخلاق بتعريفها أثناء نقاشاتهم عن الإرادة الحرة الجيدة والمواضيع المتعلقة بها.

وهذا هو الفرق الأساسي بين الكمبيوتر والإنسان. إن الكمبيوتر ليس لديه رغبات أو نوايا أو مشاعر وبالتالي ليس لديه إحساس بالذات. على الرغم من أن داراته الإلكترونية تستطيع أن تحلّ المشاكل بسرعة أكبر بكثير من السرعة التي تعمل بها الاتصالات العصبية في أدمغتنا، فإن الكمبيوتر ليس لديه النوايا والعواطف ليخبر أيّ المشاكل تحتاج إلى حل إذ يجب أن نبرمجه نحن بواسطة أمنيّاتنا. أثناء تشكّل الشعور بالذات عند طفلتك ستشعر أنها مجموع كلّ القطع المختلفة من سلوكها وليست مجرد مجموعة من الاستجابات المنفصلة. إنها على وشك اكتساب بعض التوقعات الدائمة عن المفاهيم العاطفية الأساسية في هذه الحياة. فإذا دخل الغرفة شخص تبدو على وجهه علامات الذعر ستشعر طفلتك بالخطر. وإذا دخل نفس الغرفة شخص مبتسم ترتسم على وجهه ابتسامة مطمئنة ستشعر طفلتك بالسلامة والأمان أثناء وجوده. سوف تشعر طفلتك بالقبول والموافقة إذا هزّزت رأسك مبدية موافقتك لما تقوم به. وفي كلّ وقتٍ تهزّين فيه رأسك قائلة «لا، لا» أو تظهرين عبوساً على وجهك فإنها سوف تشعر بعدم موافقتك على ما تقوم به.

إنّ طفلتك قد بدأت بتمييز كل الحركات الإيمائية التي تشير إلى

الموافقة أو عدم الموافقة، إلى الأمن أو الخطر، إلى الرفض أو القبول وإلى الإهانة أو الاحترام لأنها أصبحت قادرة على تمييز الأنماط. إنَّ توقعاتها إذا كانت في كلِّ مرَّة تحاول فعل شيء جديد تتعرَّض للمضايقة أو السخرية فإنها ستشعر أن الحياة ستكون مُدَلَّة وبشكل مشابه إذا كانت في كلِّ مرَّة تحتاج فيها إلى أمرٍ ما أو تشعر بالحزن يتمُّ إهمالها من قبل من يعتني بها فإنها ستتوقع الهجران من الآخرين. إنَّ هذه التوقعات العاطفية التي نعاني منها ونحن كبارٌ تصبح بالتدرُّج جزءاً من شعورنا بذواتنا، والمثير للانتباه أنَّ هذه العملية تبدأ ونحن دون السنتين من العمر وإن كانت بالطبع ستستمرُّ أثناء حياتنا كُلِّها. عندما نلاحظ الكبار أثناء العلاج النفسي نجد أنهم محبطون بسبب خوفهم من أن يؤدِّي إفصاحهم عن حاجاتهم إلى أن يُهجروا من قبل أولادهم أو أزواجهم، إننا نتوقع أنَّ هذا النمط من توقُّع الهجر قد بدأ عندهم منذ وقتٍ طويل عندما كانوا أطفالاً. خلال هذه الأشهر الحرجة من العمر يجمع الأطفال مشاعرهم عن أنفسهم على أنهم محبوبين أو يستحقون الرفض، آمين أو معرَّضين للخطر، مُحترمين أو مُهانين.

إنَّ هذه التوقعات هي بداية تشكُّل السمات الشخصية. إنَّ طفلك لا يفكر بهذه التوقعات لفظياً وإنما يشعر بها عاطفياً. حتى عندما يكبر فإن الكلمات تصف فقط وبشكل ثانوي ما قد شعرنا به على المستوى الجسدي. على سبيل المثال: عندما نُقدِّم على موقف نتعرَّض فيه لوسط اجتماعي جديد قد نشعر بالإثارة والثقة أو بالاهتزاز والقلق نتيجةً لتوقعنا الإهانة. إنَّ هذه التوقعات الخفية عن أنفسنا تشكُّل قبل أن نبدأ باستخدام الكلمات ويتم ذلك بشكل أساسي ما بين الشهر الثامن عشر والشهر الرابع والعشرين من العمر.

كجزءٍ من هذه الأنماط المتكاملة ستبدأ طفلك بإدراك أنَّ كلَّ مجموعة من المشاعر يمكن أن تكون جزءاً من نمطٍ معقَّد. إنَّ عدداً من الخبرات المنفصلة تشكُّل أجزاء من الشعور بالمتعة. إنَّ الشعور بالمتعة لم يعد مجموعة من أجزاء منفصلة من إحساساتٍ دافئة وغامضة بل هو سلسلة من

التفاعلات المتصلة التي قد تتضمن الذهاب في نزهة معك أو اللعب مع الكلب أو أكل الحلوى. سيصبح لدى طفلك شعورٌ فطريٌّ بأنَّ بعض الخبرات تبعثُ السرور لأنها متقاربة من بعضها. فتمديد رجليها والقفز مع كلبٍ صديق واللعب بماء الحمام وتذوق الحلوى كلها تبعث شعوراً بالإنارة الجسدية والمتعة الحسية. كذلك تشعر طفلك أنَّك مصدر للمتعة في حياتها. إنَّ كلَّ المسرَّات المنفصلة السابقة كالحديث إليك واللعب معك وتبادل العناق والقُبْل أصبحت طفلك تشعر بها كأجزاء من شخصٍ واحدٍ باعِثٍ للسرور.

يتم في هذه المرحلة أيضاً، ربط أحاسيس التحكُّم والتصميم. ففي كلِّ مرةٍ تنجح فيها طفلك بفتح صدر لعبتها أو تحمل صحنها بشجاعة أو تدفعك إلى هزّها لدقائق إضافية فإنها ستشعرُ بشكلٍ قوي بقدرتها على التحكُّم. وعندما تغضب أثناء محاولتها الفاشلة لاستعادة لعبتها من أختها، أو تصرخ حينما تُعاد إلى مهدها فإنَّ شعورها بعدم التحكُّم سيرتبط بهذين الموقفين المحبطين.

إنَّ طفلك تصنّف الآن خبراتها العاطفية بشكل فطري قبل أن تستخدم الكلمات بفترة طويلة. وكما ذكرنا سابقاً عندما تُربط هذه الخبرات بتوقعات معينة «إن تصميمي سوف يُقابل بالرفض»، «إن حاجتي سوف تُقابل بالإهانة» تتشكّل شخصية الطفلة. ولكن من المهم أن ندرك أنَّ معظم المشاعر السلبية يمكن تغييرها وأنَّ الخبرات التي يمرُّ بها الطفل وهو في الشهر الثامن عشر من عمره لا تجعل شخصيته ثابتة طوال حياته. لنفترض أنَّك خلال السنوات الأولى من طفولتك كانت أمُّك مريضة أو أنها كانت تمرُّ بفترة طلاق صعبة وكانت مشوَّشة. وعندما بلغتِ السنة الثالثة من العمر أصبحت أمُّك أكثر تفاؤلاً وعناية بك. من المرجَّح أنَّك مع الوقت سوف تتلقين العالم على أنه مكانٌ مليء بالحب والدفع والرعاية وليس مكاناً مليئاً بالرفض والإهانة.

ستتغير شخصيتك نتيجة لذلك لأن الظروف ستغير خبراتك تماماً كما يحدث أثناء العلاج أو عندما تبدئين علاقة جديدة في حياتك. إن الشخصية تكون في حالة تشكّل دائم ولكن بشكل عام كلما كبرت ازداد الوقت اللازم لتغييرها.

إن الأشخاص في هذه المرحلة لا يتطوّر عندهم التفاؤل والتشاؤم فقط، وإنما يمكن أيضاً أن يصبخوا واثقين أو متشككين. لماذا يكثر بعض الناس الشكوك أكثر من الآخرين؟ حتى أنت وببساطة يمكن أن تصبحي حذرة جداً ومتوقعة للمشاكل طوال الوقت إذا كانت المفاجآت غير السارة تصادفك عند كل زاوية وإذا كانت حياتك سلسلة من المآسي غير المتوقعة.

لحسن الحظ أن معظم الأطفال يتلقون أساساً جيّداً يمكنهم من تحمّل طيف واسع من المشاعر والخبرات. لتتصور طفلاً يشعر بالحزن وخيبة الأمل لأنه لم يحصل على لعبة معيّنة يريدّها. إن هذا الشعور يخفّ ويُعالج عندما تتعاطف والدته مع حزنه وهكذا لا يستولي عليه الحزن زيادة عن اللزوم. قد تتعاطف الأم مع ابنها قائلة «أعلم أنك تشعر بالحزن يا حبيبي ولكنه دور أخيك في اللعب وبعد قليل سيأتي دورك». وقد تربّت على كتفه بطريقة مهذّنة. قبل مضيّ فترة طويلة سيأتي دور الطفل للعب بلعبة أخيه وسيكون بإمكانه إزاحة الحزن جانباً والشعور بالمرح والسعادة.

خلال فترة لعب أخرى قد يتسابق الطفل مع صديقه للإمساك بلعبة ما. قد يزيد الأب مشاعر التنافس بكلمات التشجيع والإيماءات المعبرة «هيا يا أولاد، لنر من الذي سيمسك باللعبة أولاً» سيشعر الطفلان في البداية بالإثارة ولكن لا شك أن الطفل الأبطأ سيشعر بالإحباط والحزن. إن هذا الحزن يمكن تخفيفه بعناقٍ من الأب وطمأننة الطفل أنه سيفوز في المرة القادمة.

في يوم آخر قد تشعر طفلةً بالإحباط لأنه لم يعد هناك مزيد من العصير في المنزل، وقد أخبرت أنّ عليها الانتظار حتى يذهب والدها إلى

السوق لإحضار عصيرٍ آخر. إذا كانت نبرة صوت الأم مهدئة وتعايير وجهها متعاطفة فإنَّ الطفلة ستمكِّن من تحمُّل الإحباط الذي شعرت به.

إذا كان الطفل يُهدأ من قبل شخصٍ كبيرٍ يحبه عندما يشعر بالحزن أو الغضب أو الإحباط فإنَّ تكرُّر هذه المشاعر ومعرفة أنَّ الكبار يمكنهم أن يهدئوا هذه المشاعر السلبية سيساعد الطفل على تقبُّلها كجزءٍ من شخصيته وسيدرك أنَّ باستطاعته أن يكون سعيداً أو غاضباً أو حزيناً أو منافساً. إنَّ الوجود المريح للكبار إلى جانب الطفل وقدرته على الدخول في هذه المشاعر مع المحافظة على نفس العلاقة معهم سيشكِّل نوعاً من الصمغ الذي يَصُلُّ عواطف الطفل المفضلة مع بعضها ويجعلها جزءاً من شعوره بذاته.

إن طفلاً كالذي وصف سابقاً يكتسب كثيراً من الخبرة في ضمِّ الأجزاء المختلفة من ذاته إلى بعضها، وهكذا يتضمَّن شعوره بذاته طيفاً كاملاً من الدراما الإنسانية. فالحزن والمتعة والإثارة والعدوانية والمنافسة والدفع والحب والسرور تنصهر كلها مع بعضها في شخصيةٍ واحدةٍ بنسبٍ خاصة تميِّز هذه الشخصيات. يمكنك أن تتصوَّري شعور طفلتكِ الجديد بذاتها كأوركسترا تعزف فيها العواطف المختلفة على آلاتها بشكلٍ متناغم. عندما يوشك أحد أجزاء الأوركسترا (الغضب، مثلاً) أن يطغى على الأجزاء الأخرى يتدخل أحد الأبوين المحبين - كقائد الأوركسترا - لمساعدة الطفلة على تنظيم عواطفها.

عندما تصبح العواطف شديدة جداً يصعب وصفها بشكلٍ متكامل مع أجزاء النفس الأخرى تماماً كما يُخرب جزءٌ من الأوركسترا السيمفونية كلها. مع الوقت يقوم الطفل بنفسه بمهمة قائد الأوركسترا ويصبح ذلك جزءاً من شخصيته يساعده على إبقاء أجزائها في حالةٍ من التوازن النسبي.

إنَّ حقيقة أنَّ الطفل يمكن أن يشعر بالغضب والحب والإحباط والإثارة والحاجة إلى الآخرين مع نفس الشخص (الأم أو الأب) دون أن ينسحب

ذلك الشخص أو يفقد السيطرة على أعصابه، هذه الحقيقة لا تفيد لكنها تجعل الطفل يدرك أنَّ كل هذه المشاعر المختلفة يمكن أن تكون جزءاً من علاقة آمنة مع شخص آخر. أي أنَّ كل هذه المشاعر يمكن أن تكون جزءاً من نفس (الأنَا) المنخرطة في هذه العلاقة الغنية عاطفياً.

إن (الأنَا) الخاصة بها ستضمُّ عدة مشاعر بشكلٍ موحدٍ ومتكامل لأنَّك بصفتك الشخص الرئيسي الذي يعتني بها تشاركينها هذه المشاعر وتحدثين التهذئة والتوازن في حياتها.

إن اعتياد الطفلة على ممارسة الخبرات العاطفية مع نفس الشخص والطبيعة المهدئة للعلاقة بينهما (والتي تجعل العواطف القوية محتملة) هو أمرٌ مهمٌ جداً إذ يساعد الطفلة على تطوير شعورها بذاتها بحيث يكون هذا الشعور آمناً ومعقداً في نفس الوقت وملئاً بالمشاعر المختلفة.

لا أحد منا يملك نفساً متوازنة بشكلٍ كامل، ولا يجب أن نملك نفساً كذلك، لأنه لا أحد منا تمتع بوضع مستحيل وهو أن يملك والدين كانا يقومان بتهذيته 100% في كل الأوقات. إننا نعاني ونحن كبار لأننا نرتاح لبعض مشاعرنا أكثر من المشاعر الأخرى. بعضنا يجد صعوبة في التعامل مع الشعور بالعدوانية في حين يعاني آخرون عند شعورهم بالحزن.

إنَّ اختلاف آبائنا وأمهاتنا والاختلافات العاطفية فيما بيننا تخلق اختلافات مهمّة في طبيعتنا، إليها يعود الفضل في تفرّدنا وقدرتنا على الإبداع. عندما تكون هذه الاختلافات شديدة أو عندما لا تظهر بسبب عدم إدخالها في العلاقات فيما بيننا عندها يُصبح مجال المرونة والتناغم في شخصياتنا محدوداً بشكلٍ واضح.

عندما نقوِّي (بشكل معتدل) طيفاً أوسع من المشاعر عند أطفالنا فإنهم سيملكون شعوراً بذواتهم أكثر تماسكاً عندما يكبرون. إن الأشخاص الذين لا يوفّقون بين الأجزاء المختلفة من أنفسهم يكونون أكثر هشاشة وخصوصاً

عند التعرّض للضغط لأنهم لا يشعرون أن عواطفهم المختلفة كالحب والغضب والحزن هي أجزاء من نمط واحد.

على سبيل المثال إذا شعر الطفل بالحزن لأنّ والديه ذهبا في إجازة، أو لأنّ طفلاً آخر في المدرسة تصرف معه بقسوة فإنّ هذا الحزن سيسيطر عليه إذا لم يتصل بتوقعات من الحبّ أو بشعورٍ داخلي بالأمان. إنه سيخاطب نفسه قائلاً: «أنا حزين اليوم، لكنني سأشعر بسعادة غداً عندما يعود والداي أو عندما يصبح جوني لطيفاً معي في مكان اللعب».

إنّ الصحة العقلية أو الشعور السليم بالذات تحدث عندما يوفّق الطفل الجوانب العاطفية المختلفة من حياته (الحب، التنافس، التصميم، الغضب، الدفء، الحزن) ويشكّل منها نمطاً متماسكاً هو شخصيته المستقلة.

حتى هذه المرحلة عندما تسألين نفسك عما إذا كان إحساسُ طفلك بذاتها يتطوّر بشكلٍ سليم فإنّك تأخذين بعين الاعتبار تمكّنها من مراحل التطور السابقة. إلى أيّ مدى تستطيع التركيز والانتباه؟ إلى أيّ مدى تستطيع المشاركة والشعور بالدفء والحب؟ هل هي قادرة على التعبير عن نواياها بشكلٍ جيّد؟ ما مدى تعقّد الطرق التي تتواصل بها؟ على كل حال لدينا الآن تعريف أكثر اقتراباً من مفهوم الصحة العقلية عند الكبار. هل بدأت طفلك تدمج الجوانب العاطفية الأساسية من الحياة في شخصيتها بطريقةٍ منظّمة ومعتدلة.

في السنوات اللاحقة من حياة طفلك ستحتاج إلى التعامل مع مشاعر التنافس والحزن والغضب والمرح. عندما تندمج هذه المشاعر في إحساسنا بذاتنا، تنمو طفلك باتجاه شخصية سليمة متكاملة. وحتى لو أحسّت بإحدى هذه المشاعر ستكون متنبهة إلى وجود المشاعر الأخرى. أما إذا شعرت بهذه العواطف بشكلٍ منعزل فمن المرجح إذا غضبت مثلاً أن تقوم بإيذاء شخص ما لأنها لن تكون مدركة أنّ هذا الشخص هو ذاته الشخص الذي تحبّه.

وبشكلٍ مشابه عندما تكون حزينة قد تعتقد أن هذا الشعور سيستمر إلى الأبد لأنه لا يوجد شعور بـ «الأنا» يذكرها بوجود السعادة. وعندما تكبر قد تصبح عدوانية أو مكتئبة. في الحالات الشديدة قد يشعر الكبار أنهم مشتتون إلى درجة أنهم لا يعرفون من هم بالضبط.

بإمكاننا أن نفترض أنَّ الأشخاص الذين يوصفون بأنَّ لهم شخصيات مختلفة ربما يعانون من ضعفٍ في قدرتهم على التوفيق بين الجوانب العاطفية المختلفة التي يتكوَّن منها إحساسهم بـ (الأنا). عند هؤلاء الأشخاص ولأسبابٍ مختلفة يبدو أن كلَّ جانب عاطفي في شخصياتهم يعمل وكأنه إنسان منفصل. إنَّ الأشخاص أحاديي التفكير، الذين يفكِّرون بطريقة كل شيء أو لا شيء لديهم أيضاً ضعفٌ في القدرة على ضمِّ تعقيدات الحياة المختلفة في نمطٍ واحد.

هناك فهم آخر لما يحدث خلال هذه المرحلة من تطوُّر الطفل يأتي مع عملنا مع الصغار الذي يُشخِّص عندهم فيما بعد أمراض التوحد autistic disorders.

إنَّ الكثير من هؤلاء الأطفال لديهم مشاكل كبيرة في تكوين شعورٍ معقَّد بذواتهم. عندما يُشخِّص عندهم مرض التوحد وهم في السنة الثالثة أو الرابعة من العمر وجدنا أن معظم هؤلاء الأطفال حتى أولئك الذين يستخدمون بعض الكلمات ويستطيعون العد - لا تتطوَّر عندهم المرحلة الرابعة من مراحل التطوُّر العاطفي (الشعور بالذات). ويقول الكثير من أمهات هؤلاء الأطفال إنهم لم يبدوا سلوكاً يدلُّ على قدرتهم على حلِّ المشاكل الاجتماعية المعقَّدة عندما كانوا بين الشهرين الثاني عشر والرابع عشر من أعمارهم. حتى الأطفال الذين كان باستطاعتهم التلفظ ببعض الكلمات عندما كانت أعمارهم سنة واحدة غالباً ما يستمرُّون بمشاركة آبائهم وأمهاتهم في التفاعلات البسيطة فقط.

إننا نفترض وجود مشكلة عضوية تحدث خلال السنة الثانية المهمة من حياة الطفل، وتؤثر على قدرة الطفل المصاب بالتوحد على تحويل نواياه ورغباته وعواطفه إلى تصرفات مخططة لها وبعد ذلك استخدام الرموز (الكلمات). إنَّ النية أو الرغبة تخبر جزءاً من الدماغ الذي يخطط للأفعال بما يجب عليه فعله. بدون هذا الاتصال الأساسي لا يمكن القيام بتصرفات لحل المشاكل ولا يمكن تشكيل شعور معقد بالذات.

إنَّ الطفل المصاب بمرض التوحد قد ينخرط في سلوك ذاتي مكرّر لفترة طويلة من الزمن. فقد يدور لفترة طويلة إذا كان يريد العصير أو قد يفتح ويغلق الباب عدداً كبيراً من المرات إذا كان فعلاً يريد الخروج من المنزل. فهو غير قادر على تحويل بنيته إلى نمط سلوكي. إننا عندما نعمل مع أطفال يعانون من هذه المشكلة نطبّق طريقة شاملة يقوم بها فريق العلاج [راجع كتاب: الأطفال ذوو الحاجات الخاصة (أديسون - ويسلي، 1998) لتحصل على وصف مفصّل لبرنامجنا] ويكون أحد أهدافنا المبكرة مساعدة هؤلاء الأطفال على أن يتعلّموا كيف يحوّلون مشاعرهم إلى سلوك وكيف يجعلون سلوكهم هدفاً معيّناً. على سبيل المثال إذا كان الطفل يتجوّل في الغرفة بلا هدف نتبعه ونحاول إغراءه لكي يرقص معنا. إذا استمرّ في تجاهلنا وتابع سيره لينتهي به الأمر في زاوية من زوايا الغرفة نقوم بلطف بمحاصرته في هذه الزاوية بذراعينا الممدودتين. عندما يحاول الطفل دفعنا فإننا ندرّبه على تحويل نيته إلى فعل وهو الهروب من المصيدة اللطيفة التي شكّلناها بذراعينا.

إنَّ هدفنا هو مساعدة الطفل على تنظيم حركاته المبعثرة المنفصلة وتحويلها إلى شعور هادف بتفعيل العواطف والدافع لديه. نقوم بذلك باتّباع الطفل وموافقته في التصرفات التي تجلب له السعادة ومساعدته في نفس الوقت على حلّ المشاكل التي نضعها أمامه. لقد حقّقنا نجاحاً باستخدام هذه الطريقة في دفع الطفل لمجابهة المشاكل أكثر من الطريقة التي تركز على

التمارين التعليمية. إنَّ أكثر ما يحتاج إليه الأطفال المصابون بالتوحد هو شعورهم بالـ (أنا) التي تتحرَّك في العالم من خلال النوايا والأهداف. عندما نراقب الأطفال الذين يحبسون أنفسهم في أنماط غير منظمة من السلوك وليس لديهم القدرة على تحويل مشاعرهم وأمانهم ورغباتهم إلى سلوكٍ أو أفكار، ندرك أهمية المرحلة الرابعة من التطوُّر.

التغلُّب على الصعوبات

التشجيع الخفي

لقد مضت سنة الآن على معرفتك بطفلتك وكلُّ صفاتها المميَّزة أصبحت مألوفةً لديك سواءً كانت الطريقة التي تحاول بها شَمَّ زهرة جميلة أو نظرة الفرح في عينيها، وهي تنزع غلاف صندوق لعبة جديدة أو حتى طريقتها في التبرز. كل هذه الأنواع من السلوك خاصة بها فقط. قد يكون الأطفال الآخرون لطفاء لكنَّ القليل منهم يملك عذوبة طفلتك أو الأسلوب الدرامي الخاص بها.

ولأنَّك أصبحتَ تفهمين الرسائل التي ترسلها إليك تستطيعين أن تشعرين بأيِّ صعوبةٍ تعاني منها طفلتك سواءً في حلِّ المشاكل أو في التعبير عن مشاعرها أو في التواصل مع الآخرين بطرقٍ معقَّدة. وسوف تحتاج إليك لإبداع طرقٍ خلاقةٍ تساعدك في التغلُّب على هذه الصعوبات.

الأطفال الحساسون للمس والصوت.

بلغت كارا سنة ونصف من عمرها وأصبحت تركض مع أخويها جوي وراتشل أثناء لعبة المطاردة. بدت كارا «أصلب وأقل هشاشة» في عيني والدها ستيث وأصبحت تحب اللعب الخشن مع أخيها وأختها. لكن أمَّها لاحظت أنَّ كارا تبدو مختلفة تماماً عن الآخرين عندما ترتدي ثيابها. فهي ترفع بنزقٍ بعض قمصانها فوق مكان الحزام أو تخلع بغضبٍ جواربها القطنية.

بما أن كارا تسترخي وتستجيب للمسّات القوية أكثر من التربيّات الخفيفة أو للمسّات اللطيفة فقد كانت إيلين تتعمّد الخشونة في حركاتها في كلّ مرّة تساعد ابنتها على ارتداء الثياب أو خلّعها. ومع ذلك ظلّت كارا لا تتحمّل بعض الإحساسات أو الضغوط على جلدها فالجوارب اللينة والأقمشة المخرّشة كانت تزعجها تماماً. ذات يوم وصلت الأمور إلى نقطة الغليان عندما أخذت إيلين طفلتها إلى محلّ لبيع الأحذية. كان البائع من النوع الصبور الذي اعتاد على تلويّ الأطفال وبعض الدموع. ولما خلع جوارب كارا وبدأ بدغدغة أخصيها تحوّل فضولها وتعاونها معه فجأة إلى صراخ. حاول البائع تهدئتها بمزيد من الدغدغة فانفجرت باكية وأخذت ترفس الأرض بعقبها وتندحرج على الموكيت.

لقد خجلت إيلين بالطبع من ردة فعل كارا العنيفة ولكّنها بعد أن ربّت ثلاثة أولاد لم يعد غير المتوقّع يزعجها كثيراً. ذكرت إيلين هذه الحادثة لأخصائي التطوّر في الموعد التالي. ذكّرها الأخصائي أنّ نوبة الغضب هذه كان بالإمكان تجنّبها بقليل من التخطيط وحثها على أن تأخذ بعين الاعتبار نفور طفلتها من للمسّات الخفيفة وشرح لها لماذا تكره كارا جواربها القطنية، ونصحها بأن تقوم بتغييرات بسيطة كأن تستبدل جوارب طفلتها بجوارب مرنة أكثر التصاقاً بالجسم فذلك قد يريح كارا بشكل أفضل.

بيّن لها الأخصائي أنّه في زيارتها القادمة لمحلّ الأحذية يجب أن تنبّه البائع إلى حساسية كارا للدغدغة والمسّات الخفيفة وأن تطلب منه أن يشدّ رباط الحذاء عند كارا بقوة وأن لا يتركه مرتخياً للتقليل من التوتر الذي يمكن أن تشعر به كارا. خلال الاستشارة ذكر ستيف استغرابه من عمل كارا للدفعات والعناقات التي تتبادلها مع أخويها أثناء اللعب في حين أنها لم تزل حسّاسة للمسّات الأخف. شرح له الأخصائي كيف أنّ كارا تشعر بالأمان أثناء لعبها العنيف مع أشخاص تألفهم كأخويها أو والديها وأنّها تتمتع بتقليص عضلاتها عندما تشعر بالإثارة. وفي الحقيقة فإنّ هذا النوع من الألعاب

يتضمّن الكثير من النشاط الحركي الذي يساعد الأطفال على تفريغ الشحنات التي تسببها شدّات الحياة الروتينية . ولكن مع الغرباء مثل بائع الأحذية قد يشعر الأطفال مثل كارا بالقلق والإثارة الزائدة عندما يتعرّضون للمسّات خفيفة غير مألوفة . إنّ حواسهم تُحمّل أكثر من طاقتها هنا فيحاولون بشكل فطري إمّا التحكم بأنفسهم في هذه الحالات أو تجنّبها . إنّ نوبة الغضب وما يصاحبها من ركلٍ وصراخٍ هي طريقةٌ يخفّف بها الطفل مشاعر التوتر لديه .

عندما تحدث ثورة الغضب عند طفلك من المهم أن تتعاطي معها وأنّ تعلّمها أنّك تدركين أنه «أحياناً يكون من الصعب أن تتحمّلي لبس الحذاء لأنه يدغدغك» . إنّ تعاطفك معها سيطمئنّها إلى أنه على الرغم من الصعوبات التي قد تمرّ بها إلا أنّ الناس لا يتعمّدون إزعاجها، وأنه لا حاجة لثورة الغضب لكي تشعر بالراحة فتدخلات ماما وبابا المهدئة يمكن أن تساعد أيضاً .

ثم التفت الأخصائي إلى ستيث وطلب منه أن يفكّر أكثر بتلك المطاردات التي يبدو أنّ كارا تتمتّع بها كثيراً أثناء اللعب على الأرض . وسأله فيما إذا كانت كارا تدخل في ثورة الغضب أثناء أوقات اللعب هذه . بعد أن فكّر قليلاً تذكّر أنّ كارا تضطرب - تلوّح بذراعيها وتصرخ - خلال تلك المطاردات عندما يصرخ كل من جوي وراتشل بصوتٍ عالٍ . بيّن الأخصائي أنّه كما تحسّ كارا من لمسّات معيّنة فإنها تحتاج انتباهاً خاصاً من والديها لتجنيبها الأصوات العالية ذات الطبقة الرفيعة .

لقد نُصِحَ كلٌّ من إيلين وستيف بأن يوفّرا لكارا مزيداً من التعاطف والدعم عندما تتعرّض لأصوات أو لمسّات مزعجة . ففي المرة القادمة عندما تغضب كارا من صراخ أخيها سيقول لها أحد والديها بصوتٍ حازم «أعرف أنّك غاضبة من جوي لأنه يصيح في وجهك بصوته المزعج لكنه لا يقصد إيذاءك» . قد لا تستطيع كارا فهم ما يقوله والداها ولكنها تستطيع أن تقرأ

التفهم والعواطف في تعابير وجهيهما وحركات جسديهما وأن تسمع نبرة أصواتهما المتعاطفة والمريحة. إنَّ اللمسات والأصوات المزعجة لكارا يمكن إدخالها أثناء فترة اللعب ولكن بعد أن تجد متعةً باستخدام حواسها وحركاتها التي تجلب لها السرور بسهولة.

إنَّ فترة اللعب على الأرض توفر الكثير من الفرص الجيدة لاكتشاف طرق جديدة في اللعب ولكن يجب أولاً كسب ثقة كارا. لقد شرح ستيف لأخوي كارا أنَّ أخنهما تحتاج إلى قليلٍ من المساعدة قبل أن تعتاد على ألعاب الكبار الصاخبة.

وبما أنَّ كارا تفضّل الألعاب البصرية فقد اقترح والداها أن تلعب مع أخويها لعبة فيها الكثير من الأصوات الناعمة والإشارات البصرية ووضعيات الجسد حتى أنهما اقترحا أن يقوم الأخوان الكبيران بتعليم كارا تقليد الإيماءات مترافقةً بالكلمات التي يصعب عليها لفظها. كأن يتوجّا رأسيهما بإصبعين دلالةً على الأرنب أو يفركا بطنيهما دلالةً على «الشبع» أو «الطعام الطيب» وقد يمتطّا شفتيهما إلى الأمام دلالةً على «السمة».

لقد أصبحت ألعاب المطاردة في العائلة تركز على العلامات البصرية التي يعرفون أنَّ كارا تُسرُّ بها، كما أن زيادة الإشارات البصرية ستمتّع الأخوين الكبيرين وستدلُّ كثيراً على طريقة جديدة للتعبير عن نفسها. فمن الممكن مثلاً أن يُعلن كل من بابا وماما أن بعض الحيوانات في حديقة الحيوانات قد أفلتت من أقفاصها. ثم يلتفتان إلى الأولاد ويسألان «هل أنت القرد الذي أفلت من قفصه» أو «هل أنت حمار الوحش الذي قفز من فوق السياج» أو «هل أنت السمكة التي سبحت بعيداً في النهر!». وبعد أن يتلقّى الوالدان هزّات الرؤوس والنظرات الماكرة والابتسامات المندفعة تبدأ المطاردة. إنَّ لعبة اختفاء وبحث معقّدة تتضمّن الكثير من الإيماءات والأصوات والكلمات الناعمة ولغة الإشارات وكمية أقل من الصراخ والزعيق

ستجعل وقت اللعب على الأرض مليئاً بالمرح لكل شخص في العائلة بمن فيهم كارا.

في النهاية أضاف ستيث وإيلين بُعداً جديداً على اللعبة فما أن أُعيدت الحيوانات إلى أقفاصها حتى صارت أصواتها الناعمة تصدر من كل قفص. وقد شجعت الحيوانات النائمة على إصدار أصوات خافتة وهكذا عُرِضت كارا لنسخة مخففة من الأصوات التي كانت تزعجها ومع الوقت وبعد عدة تفاعلات أثناء وقت اللعب على الأرض بدأت أصوات كل الحيوانات ترتفع تدريجياً.

بهذه الطريقة بدأت كارا تشعر أنَّ الدعوة إلى لعب لعبة «حديقة الحيوانات» تعني الكثير من المرح والتفاعل مع والديها وأخويها. وأثناء هذا اللعب شعرت كارا بارتياح أكبر وهي تسمع بل وتصدر بعض الأصوات العالية التي كانت تزعجها سابقاً. لقد كانت كارا تشارك في هذه اللعبة لفترة تزيد عن عشرين دقيقة وأصبحت لاعباً أساسياً في الدراما التي تمثلها العائلة.

الأطفال الأقل تأثراً بالعالم المحيط بهم

بدأ بريان الصغير الذي يبلغ الشهر الخامس عشر من عمره باكتشاف ما يحيط به بالتجول مستنداً إلى حواف الطاولة والأرائك ولم يكن مستعداً بعد للانطلاق والسير لوحده. وقد أدرك والداه ستيوارت وتامي أنَّ المقوية العضلية ضعيفة عند بريان وأنه قد يتأخر عن أقرانه في السير على قدميه بثقة.

على كل حال كان بريان يتواصل بشكل جيد مع العالم من حوله بطرق أخرى مما جعله ينظر إلى العالم على أنه مكان مثير. كان يتمتع بزياراته لحديقة اللعب حيث كان يحب الانزلاق على زلاقة الأطفال وأن يوضع في الأرجوحة. كانت الحركة تسعده شرط أن لا تقتضي منه التنسيق بين عضلاته الضعيفة. كان يبدو سعيداً ومحبباً للعالم من حوله طالما كان ذلك لا يقتضي

منه بذل جهد عضلي. وكان قادراً على تسليية نفسه لأوقاتٍ طويلة يدفع سياراته وشاحناته على الأرض. كان يتمتع بالإمساك بالألعاب عندما تكون قريبةً منه لكنه لا يمدُّ جسده أو يبحث بفاعلية عن هذه الألعاب عندما تكون موجودة خارج مجال بصره.

كان بريان قادراً على نقل مشاعره ورغباته إلى والديه عندما لا يتعلّق ذلك باستخدامه لعضلاته الكبيرة فعندما يرى (البطة) لعبته المفضّلة كان يدمدم قائلاً (بط - بط) ويمدُّ ذراعيه باتجاه اللعبة. إن تحكّمه الجيّد نسبياً بعضلات لسانه مكّنه من التعبير عن رغبته باستخدام عدّة أصوات والقليل من الكلمات المحكية. ومع أن بريان كان يجد صعوبةً في القيام بحركاتٍ متتابعة والزحف للوصول إلى اللعبة إلا أنّ حركة عينيه ووضعية جسمه جعلت والديه يدركان مدى رغبته في الحصول على اللعبة.

لقد أدرك تامي وستيوارت أنّ عليهما أن ينظرا إلى ما وراء المظاهر السطحية أثناء تمييزهما للإشارات التي كان بريان يصدرها باستخدام إيماءاتٍ معقّدة. ولأن حركة عضلات ابنهما كانت أقل تناسقاً من حركة عضلات أقرانه من الأطفال فقد كان من السهل أن يقعا في فخ الافتراض بأنّ ابنهما ليس مهتماً بالتواصل معهما. بعد كل ذلك إذا كان بريان لا يلوح بيده مباشرة رداً على تحيّيتهما ولا يمشي نحوهما عندما يدخلان الغرفة ما الذي يجعلهما يفترضان أنه يميّز إشارات الترحيب الصادرة عنهما. لقد لاحظ تامي وستيوارت خلال العام الماضي أن بريان كان يستخدم القليل من عضلاته الإرادية أثناء تواصله معهما لكنّه كان متمكناً جداً من إبداء السرور في نظرات عينيه وفي تورّد وجنتيه عندما يشعر بالإثارة. وهو يستخدم عدّة أصوات وكلمات منقوصة، والقليل من الكلمات ليُظهر أنّ باستطاعته أن يفتح ويُغلق دوائر التواصل وحلّ المشاكل. وبهذا كان يعبر عن الكثير من مشاعره بالرغم من أنّ عضلات ذراعيه ورجليه لم تكن تساعد على ذلك.

إنّ مشكلة المقوية العضلية عند بريان كانت تحبطه لأنه لم يكن قادراً

على وضع أطرافه في المكان الذي يريده. ولأنَّ بريان كان يحتاج إلى مزيد من التدريب للتخطيط لإفعاله، فقد حاول ستيوارت وتامي بشكل مقصود أن يوفرا له كثيراً من الفرص أثناء اللعب على الأرض لاستخدام عضلاته. مثلاً، كان ستيوارت يتقدّم إلى ابنه وهو يمشي على ركبتيه بحيث يبدو الاثنان على نفس الارتفاع ثم يرى إن كان ابنه سيبدأ لعبة المطاردة معه وبما أنَّ بريان كان يحتاج لكي يوازن نفسه إلى الإمساك بالأثاث فقد جعله ستيوارت قدوته وقام بتقليده.

في كلِّ مرة كان بريان يضحك فيها عندما يوشك والده على الإمساك به (وهو يتبعه على ركبتيه) كان ستيوارت ينظر في عينيه ويقول (أنا أقرب منك أكثر فأكثر). وعندما كان بريان يتبعد هارباً كان ستيوارت يدور حول ابنه ويتظاهر بأنَّ ابنه قد التقطه ويرفع يديه مستسلماً. وعندما كان بريان ينبطح على الأرض لكي يختبئ كان والده يقلّده. هذه الحركات المتبادلة أشعرت بريان أنه يشارك والده في المرح وأعطته فرصة ليتدرّب على القيام بحركات متتابعة أيضاً. كما أن حصوله على إعجاب والده قوى تقديره لنفسه. تعلّم ستيوارت وتامي أن لا يتسرّعا ويقودا بريان أثناء لعبهما معه على الأرض. إنّ الأطفال الذين لديهم مقوية عضلية ضعيفة يجدون صعوبة في القيام بتصرّفات وفي إنفاذ رغباتهم. وعندما يتسرّع آباء هؤلاء الأطفال في جلب ألعابهم إليهم ويحاولون توقّع كلّ رغباتهم فإنهم يحرمونهم من فرصتهم في إثبات ذواتهم والتعبير عن رغباتهم ومشاعرهم. إنّ الطفل ذو المقوية الضعيفة قد يغضب كغيره من الأطفال لكنه لا يستطيع أن يعبر عن غضبه في الوقت المناسب. بعض الأطفال يضربون الأرض بأعقابهم والبعض الآخر قد يضغطون لعبهم بغضب لكن طفلاً مثل بريان قد لا يتمكن مباشرة من استجماع قوّته والتنسيق بين عضلاته. وقد يشعر أنَّ الاستجابة لا تستحق الجهد المبذول من أجلها.

استمرَّ تامي وستيوارت في تنويع أساليبيهما لكي يشعرا بريان أنَّ إيماءاته

التي يبذل جهداً في القيام بها ستلقى استجابةً منهما. لقد أدركا أنَّ عليهما أحياناً أن ينتظرا من عشرين إلى ثلاثين ثانية لكي يُظهر بريان تعابير الغضب أو المتعة في حين أنَّ معظم الأطفال الآخرين الذين في سنِّه لا يحتاجون إلى أكثر من عدة ثوانٍ. لقد أصبح ستيوارت وتامي ينتظران بريان حتى يستجيب لهما وفهما أن نظرة الغضب في عينيه تساوي ثورة الغضب عند أيِّ طفلٍ آخر، واستطاعا أن يُعلماه بأنَّهما «فهما كم هو غاضب». إنَّ إعلامه بتفهمهما لمدى غضبه يُشعره بأنَّهما يقرانه بشكلٍ واضح.

تعلَّم ستيوارت وتامي أن يكونا صبورين أثناء مساعدة بريان للوصول إلى لعبةٍ تعلقُ بها، فهما يسندان ظهره وهو يتقدَّم باتجاه رفِّ الألعاب. كما أعادا ترتيب بعض الأثاث بحيث يسهل على بريان تنفيذ رغباته. فمثلاً وُضعت اللعب في الرفوف السفلى وتُركت الأبواب مفتوحة ليسهل على بريان دفعها. كما اشترى ستيوارت وتامي كراسي صغيرة بدون ظهر ووضعها في عدة غرف بحيث يستطيع بريان استخدامها لسحب نفسه والوصول إلى الأشياء التي يريدها. حاولت تامي أيضاً أن تساعد بريان على اتباع التوجيهات البسيطة بتقسيمها إلى عدَّة خطوات يمكنه تنفيذها. فقد لاحظت مثلاً أنَّ بريان يرتبك عندما تطلب منه أن «يلتقط كل ألعابه عن الأرض». فعلى الرغم من أنَّ ابنها البالغ 15 شهراً من عمره قد يفهم خطة العمل التي تقترحها عليه إلاَّ أنَّه لم يكن قادراً بعد على القيام بحركات متتابعة استجابة لطلبها. كان بريان يحتاج حتى إلى تقسيم المهمَّات الروتينية إلى تبادلات إيمائية بسيطة منفصلة لا تشدُّ انتباهه وحسب، وإنما تمكَّنه من القيام بسلسلة من المهام المترابطة بنجاح. عندها لن يُحبط بريان بسبب تكليفه بعملٍ كبير يصعب عليه البدء به.

في البداية كان على تامي أن تشدَّ انتباه بريان بأن تُصدر بعض الأصوات والحركات المُغرية كأن تعنِّي بنبرة تشبه الجرس وتقول «هاي براي» مع تصفيقة بكفِّها ثم تقول له «أحضر تلك اللعبة الخجولة إلى ماما» وتشير

إلى لعبة قريبة منه يستطيع بريان الإمساك بها دون أن يتحرك.

عندما يمسك باللعبة تقوم تامي بوضع صندوق الألعاب على بعد ستة أقدام منه بحيث يسهل عليه الوصول إليها. يتحرك بريان باتجاه أمه والصندوق وعندما يصل إلى أمه تكافئه بتصفية أخرى وتقول «يا لك من مساعدٍ ممتازٍ على الترتيب هل تستطيع أن تضع اللعبة في الصندوق». عندما يهز بريان رأسه مجيباً بـ «نعم» يمدُّ يده باتجاه الصندوق ويلقي اللعبة فيه عندها تنظر إليه بافتخارٍ وتعانقه وتقول «هيا بنا نبحثُ عن البطّة ونضعها في الصندوق أيضاً».

كانت تامي تستخدم كلَّ ما لديها من صبرٍ وتشجّع بريان لكي يحضر كل لعبة على حدة. إنها عندما تقاوم رغبتها في استعجال ابنها تعطيه عشرات الفرص لتقوية قدرته على القيام بخطواتٍ متتابعة. ومع الوقت أدرك بريان أنَّ ترتيب الغرفة ليس عملاً معقداً ومرهقاً بل هو سلسلة من التصرفات المحددة التي تستطيع عضلاته القيام بها بشكل كامل. إنَّ قدرة بريان على التخطيط لتصرفاته مكنته من وضع سلسلة من الأفعال المفضلة مع بعضها لتشكل نمطاً سلوكياً منظماً. كما أنه بدأ يمتلك القدرة على حل المشاكل.

الأطفال التواقون إلى المثيرات الحسية

عندما بلغت إيما الشهر السادس عشر من عمرها كانت تكتشف العالم من حولها بنهم كبير فالزلاقة كانت تستهويها لتتزلق عليها ورأسها إلى الأسفل ورفوف المكتبة تحولت إلى جدرانٍ تتسلق عليها أما الأواني الصينية فكانت تغري أصابعها بالوصول إليها وحملها وتلمسها.

لقد كان والدا إيما مُدرِكين لنشاطها الزائد وحاجتها إلى الكثير من اللمسات والأصوات والحركات وقد أرهقهما ذلك كثيراً.

تمكّن لورا ومايك في الأشهر القليلة الماضية من وضع حدودٍ

لاكتشافاتٍ إيما عندما تصبح هذه الاكتشافات خطراً عليها. وكانا يوفّران لها الكثير من الدعم العاطفي حتى ولو اضطرّا أن يقولوا لها لا عندما تقوم بفعلٍ يمكن أن يؤذيها. وفي كلّ مرّةٍ يمتنعان فيها إيما من متابعة اكتشافاتها كان والداها يتعمّدان زيادة وتيرة النشاط أثناء لعبهما معها على الأرض. لقد كانا يتبعان القاعدة الذهبية المتعلّقة بوقت اللعب على الأرض، والتي تقول «في كلّ مرّةٍ تزيد فيها من توقعاتك أو من الحدود التي تضعها لابنك، قم أيضاً بزيادة وقت اللعب على الأرض». لقد بدأ كل من لورا ومايك يشعران بقدرتهما على التعامل مع ابنتهما ذات الطاقة العالية. لكنّ مستوىً جديداً من التمرد بدأ يظهر في سلوك إيما. فإذا سبّبت لها الإحباط لعبةً ما كانت ببساطة ترمي بها بعيداً بغضب أو تدفع أحد والديها إذا كان قريباً منها. وبدا الأمر وكأنّ إيما تتمتع بقدرتها على استخدام جهازها الحركي للتخلّص مباشرةً من أيّ مشكلةٍ ترعجها في هذه الحياة ولم تكن لديها الرغبة في مشاركة والديها في حوارٍ إيماي متبادلٍ طويل حول هذه المشكلة.

كانت لورا على وجه الخصوص قلقة بشأن العدوانية الزائدة التي تتصف بها إيما فاستشارت أخصائي التطوّر الخاص بالعائلة بخصوص هذا الأمر. وبعد أن راقب سلوك إيما المتعصّب لساعةٍ أو أكثر استطاع أن يخفّف بعضاً من مخاوف لورا.

إن الكثير من التصرفات التي كانت لورا تفترض أنها «عدوانية» لم تكن في الحقيقة إلاّ تعبيراً عن رغبة ابنتها ذات الطاقة العالية في البحث عن المثيرات الحسّية. ففي أثناء اندفاعها للإحساس والسماع والرؤية والإنصات كانت إيما غير حسّاسة للأشياء التي تقف في طريقها. فإذا اعترضت رجلٌ أبيضاً طريقها وهي متجهة إلى الباب الخلفي تقوم إيما بركلها، وإذا غطّى شعر والدتها بشكلٍ غير مقصود صفحةً من كتابٍ تنظر إليه كانت إيما تقوم بشدّه.

إنّ السلوك «العدواني» الذي كان مايك ولورا يلاحظانه على طفليهما

لم يكن في الحقيقة إلا تعبيراً عن رغبتها في الحصول على المزيد من المثيرات الحسية من العالم المحيط بها. كان على والديها أن يساعداها على التقاط مزيد من الإشارات من بيئتها مما يمكن أن يساعداها على تعديل سلوكها. اقترح الأخصائي على والديها أن يطبلا فترة الزحف والركض أثناء لعبهما معها على الأرض. فعلى سبيل المثال يمكن لأحد والديها أن يمثل دور الحصان الذي يمشي دون أن يتعب، ويجب السير ببطء أو بسرعة متوسطة ويشعر أحياناً بالعطش أو يتوه عن طريقه. وهكذا سيشعر والدا إيما طفلتهما بالمرح مع ذلك الحصان الذي يغيّر طريقة مشيته من حين لآخر، ثم يشعرانها بمتعة الإبطاء وشرب الماء والاستلقاء في الإسفل.

وبما أن إيما تقود اللعبة فلن تنزعج إذا ساعداها والداها على إبطاء حركتها. وهكذا يصبح تعديل نشاطها - سريع - بطيء - سريع جزءاً من لعبها. يفضل أن يجري هذا النوع من اللعب في غرفة كبيرة وقليلة الأثاث. إن إعطاء طفلة زائدة النشاط مثل إيما المزيد من المساحة للعب سيعطيها مجالاً أكبر للانتقال من السرعة إلى البطء وبالعكس. لن تصطدم بجهاز للإنارة أو بألف شخص آخر ولن يضطر والداها ليقولا باستمرار (احذري). كانت إيما تتعلم كيف تسيطر على تصرفاتها وسلوكها في الوقت الذي تمرح فيه وتحصل على ما يشبع حاجاتها الحسية والعاطفية.

لقد بدأ والدا إيما يشعران بالارتياح لإدراكهما أن تصرفات ابنتهما «العدوانية» ليست مقصودة واستمرا في إبداء الكثير من التعاطف معها. وكان ذلك مهماً جداً. فكثير من الآباء في مثل هذه المواقف ينسحبون من التفاعل مع أولادهم الشرسين في الوقت الذي يحتاج فيه هؤلاء الأولاد إلى مزيد من الحب والتفاعلات التي تضع حدوداً لسلوكهم الخطير أحياناً. عندما يبتعد الآباء عن أبنائهم سيشعر الأبناء بعدم الأمان ويتصرفون بمزيد من العنف لشدّ انتباه آبائهم إليهم. كذلك فإن الآباء الذين يبالغون في عقوبة أولادهم يدفعونهم إلى المزيد من السلوك العدواني.

إنَّ الأطفال المتمرّدين يتعلّمون بسرعة استخدام السلوك السلبي للتعبير عن مشاعرهم تجاه الكبار. فهم يغطّون مثلاً مشاعر الحزن والفراغ عندهم بقولهم «لا أريد أحداً بعد اليوم». إنَّ على الآباء والأمهات المهتمّين بأطفالهم من أمثال مايك ولورا أن يطمئنوا أولادهم إلى أنه حتى سلوك العصيان والمواقف الرافضة لا تقلّل من حبّهم لهم. إنَّ مثل هؤلاء الأطفال يحتاجون إلى من يطمئنهم إلى أنّ آباءهم وأمهاتهم يتمتّعون بصحبتهم. عندما وضع مايك ولورا هذا الأمر في ذهنيهما نجحا في تمديد فترة اللعب على الأرض مع إيما لمدة نصف ساعة في كلّ مرّة وفي توفير المزيد من التعاطف والاندماج معها.

الأطفال الذين يستجيبون للمناظر لكن يجدون صعوبة في التعامل مع الأصوات

لقد نضجَ ول حقاً الآن. ولاحظ والداه ليزا ودان أن ابنهما البالغ من العمر 18 شهراً يمتص العالم البصري المحيط به كالإسفنجة. إن إعجابه المبكر بالألوان تحوّل إلى حبّ للتعامل مع المكعبات الملونة وألعاب الصور المقطّعة. بشكل أو بآخر تغيّر دان مثل ابنه تقريباً خلال الأشهر الستة الماضية. إنَّ دان الرجل الذي اعترف بأنّه ثرثارٌ ومحبّ للأصوات قد بذل جهداً كبيراً لكي يتجنّب إغراق ابنه الحساس للصوت بالكثير من الأصوات، فبدلاً من ترديد الأغاني الصاخبة عند عودته من العمل كلّ مساء حاول دان التفاعل مع اهتمامات ول البصرية. وهكذا بدل أن يدخل الغرفة وهو يردّد أغنية «أين راعي البقر الصغير؟» أصبح ينضمّ بهدوءٍ إلى ابنه (الذي غالباً ما كان منخرطاً في اللعب بالمكعبات والصور المجزأة) ثم يلتفتُ إليه وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ترحيبٍ كبيرة ثمّ يمدُّ ذراعيه فيزحف ول نحوه ليتلقّى منه عناقاً حارّاً.

وعندما كانا يجلسان إلى جانب بعضهما كان اللعب بين ول ووالده

يأخذ شكلاً بناءً متبادلاً. فمثلاً في كل مرة يحاول فيها ول أن يختار مكعباً جديداً كان دان يرفع حاجبيه ويقطّب جبينه ويهزّ كتفيه دافعاً ول لاتخاذ قرار واختيار المكعب الذي يريده. وكلّما أطلّ دان فترة الأخذ والرد بينه وبين ابنه أعطاه فرصة لكي يعبر عن نواياه. وبعد أن يختار ول مكعباً ما يهزّ دان رأسه معبراً عن إعجابه ويقول «جيد» ثمّ يردّد ببطء «إنّ لون هذا المكعب جميل يا ول».

لقد كان دان مدركاً تماماً أنّ عدّة أصوات تُردّد بشكلٍ متتابع وسريع قد تربك وأحياناً قد تُزعج ابنه. وعندما كان يتبادل عشرات الإيماءات مع ابنه أثناء بناء برج من المكعبات الملونة كان يحرص على إبداء تعابير هادئة ودافئة على وجهه مترافقة مع سلسلة من الأصوات المتناغمة البطيئة ثمّ شيئاً فشيئاً تُصبح كلمات التشجيع المترافقة لحركات التعاطف جزءاً من الحوار بينهما. وباستثمار مهارات ول البصرية وقدرته على التوفيق ما بين عينيّه ويديه استطاع والده أن يلعب معه بسعادة لعبة المكعبات لفترة تزيد عن العشرين دقيقة. إنّ ذلك أعطى ول تمريناً عملياً كبيراً حتى وهو يلعب بمرح مع والده. فعيناه تبحثان عن الألوان والأشكال الأجمل ويدها تتلمسان الملمس الخشبي للمكعبات في حين تلتقط أذناه أصوات والده المشجّعة وتمكّنه قدرته الجديدة على التحكّم بعضلات قدميه من الوقوف على ركبتيه ووضع مكعب في أعلى البرج. إنّ قدرة ول الواضحة على تمييز وبناء أشكال متعدّدة باستخدام المكعبات أقنعت والده بأنّه سيكون مهندس العائلة القادم.

كانت ليزا أكثر ارتياحاً في التعامل مع ول صاحب النمط الهادئ لأنها كانت محافظةً إلى حدّ ما. وقد لاحظت أنّه عندما خطا خطواته الأولى كانت متناقلة نوعاً ما وقد أخبرها طبيب العائلة أنّ دعوة ول إلى الزحف مرةً أخرى هي أمرٌ طبيعي لطفل في مثل سنّه. وشرح لها أنّ شعور الأطفال المتزايد بالاستقلالية يبهجهم أحياناً ويخيفهم أحياناً أخرى. فعندما يكتشف الطفل الأشياء المحيطة به ويدرك الكيفية التي يتنظّم العالم بها من حوله ينتبه فجأة

إلى أنه «وحيد» في مكانٍ غير مألوفٍ بالنسبة له.

بما أنَّ ولٍ عانى من صعوباتٍ في استيعاب الأصوات أكثر من أقرانه من الأطفال فقد كان يتجاهل الأصوات ويعتمد فقط على حاسته البصرية لكي يشعر عاطفياً بالأمن والتواصل مع والديه. وعندما كان فضوله يأخذه بعيداً بحيث يغيب والداه عن نظره كان يخافُ ويعود مُسرِعاً ليدفن رأسه في حضنيهما. كان يشعرُ بالضيق ما لم ينظر إليهما من حينٍ لآخر ليطمئن نفسه بوجود تواصل جسدي معهما. إنَّ الأطفال الذين لديهم مشكلة في معالجة الأصوات مثل ولٍ يحتاجون إلى أن يوفَّر لهم آباؤهم الكثير من الإيماءات البصرية في ذات الوقت الذي يرسلون فيه إليهم رسائل لفظية من مسافات بعيدة لكي يشعروهم بالسلامة والأمان. تستطيع ليزا بالابتسام والتلويح لولٍ من بعيد أن تنقل إليه بصرياً موافقتها على اكتشافه للعالم المحيط به. أمَّا إذا أرفقت إيماءاتها المشجِّعة بالكثير من الكلمات (هاي ولٍ - إنَّ ماما ترى أنَّك تبحث عن غطائك وهي فخورة بك) فإنَّ ولٍ قد يتجاهل هذه الكلمات ويتجاوز تلويحها له ويعودُ إليها مُسرِعاً.

في هذه المرحلة من تطوُّره لم يكن ولٍ قادراً على فهم سلسلة من الكلمات المتتابعة في نفس الوقت الذي يلاحظ فيه إيماءات والدته وبالتالي فهم يَكنُّ قادراً على فهم موافقتها أو عدم موافقتها على سلوكه ولو أنَّ ليزا استخدمت جملًا بسيطة مثل (بإمكانني رؤيتكما) أو (لقد أمسكت بالكرة) وحافظت على إيماءاتها البصرية لفهم ولٍ رسالتها وهو يشعر نسبياً بالأمن حتى ولو كان بعيداً عنها.

الرضع الذين يتجاوبون مع الأصوات لكنهم يجدون صعوبةً في التعامل مع المناظر

مثل ولٍ تماماً لاحظ والدا ماكس البالغ من العمر سبعة عشر شهراً علامات جديدة على تباطئه في بعض الأمور مما أشعرهما بالقلق. لاحظ لين

وجوناثان أنَّ ماكس غالباً ما يتصرّف كغريبٍ عندما يكون في مكانٍ غريب عليه. فعندما يصعد إلى مكتب لين أو غرفة عمل جوناثان كان يبكي بانفعال وكأنه ضائع حقاً. وعلى الرغم من أنَّ بكاءه كان مبالغاً فيه إلا أنَّ والديه كانا يلمسان الشعور بالهلع في صوته. وكانا يندفعان إلى تهدئته ويتمنيان لو كانت هناك طريقة يخففان فيها من معاناتهما.

إنَّ استشارة أخصائي التطوُّر ألقت بعض الضوء على سبب الصعوبة التي يجدها ماكس في الانفصال جسدياً عن والديه. شرح لهما الأخصائي أنَّ ماكس ليس لديه خارطة داخلية مكتملة عمّا يحيطُ به من أشياء لأنه عاجز عن التعامل مع مناظر معيَّنة. فإذا سرح في المنزل بعيداً عن طريقه المعتاد لن يعرف كيف يعود إلى المطبخ حيث تقف والدته. إنَّ بكاءه وصراخه ليس لأنه طفلٌ مدللٌ يريد من أمه أن تأتي إليه وتحمله بل لأنه لا يعرف حقاً كيف يعود إلى المكان الذي انطلق منه.

ماذا تفعلين إذا كانت خارطة طفلك الداخليَّة مشوَّشة بهذا الشكل. لقد اقترح الأخصائي أن يأخذ كل من لين وجوناثان ماكس في جولاتٍ إضافية في أنحاء المنزل وأن يوفِّرا له مؤثراتٍ صوتية ولمسيَّة وهما يعرفانه على العلامات البصرية الموجودة في كلِّ غرفة. مثلاً عندما تأخذ لين ماكس إلى غرفتها في الطابق العلوي تشجِّعه على أن يضع يده على جهاز الكمبيوتر الموجود على طاولتها. وعندما يشعر بالاهتزازات التي يصدرها الجهاز تقول له «انظر ماكس إلى كمبيوتر ماما الموجود على الطاولة لتتظاهر بأنها جهاز كمبيوتر ونصدر أصواتاً مثله» ثمَّ يهتمهمان معاً وبعد ذلك تشير لين إلى الكمبيوتر وتقول: «دعنا نجد طريقنا إلى المطبخ سوياً».

في كلِّ يوم أخذ لين وجوناثان يلعبان مع ماكس في غرفةٍ مختلفة ويملآن اللعب بالأصوات واللمسات والمناظر الخاصة بكلِّ غرفة. فصوت المياه في حوض السمك وصوت مروحة التهوية في الحمام وملمس الموكيت

في غرفة الطعام أصبحت كلها أجزاء من خارطة ماكس الداخلية عن منزله. خلال تفاعلها معه كان صوت والدي ماكس يشد انتباهه أولاً، ثم بعد ذلك كانا يحوّلان انتباهه إلى مصادر أخرى للمعلومات. ثمّ يستخدمان إيماءات بصرية بسيطة - تعابير البهجة على الوجه أو الإشارة بالإصبع - لكي يلفتوا انتباهه إلى نقاط علاّم مميزة موجودة في كلّ غرفة. وهكذا ساعدوا ماكس على التركيز على سلّة القمامة ذات اللون الأزرق اللامع الموجودة في غرفة العمل، وعلى المخدّة الصفراء الموجودة على سرير غرفة الضيوف. وهكذا بدأ ماكس يبني خارطة فراغية للمحيط. ولكي يساعده على استخدام قدراته الجديدة بدأ والدا ماكس يلعبان معه ألعاب العثور على الكنز وألعاب البحث والاختباء. على سبيل المثال: في أحد الألعاب تُخبأ لعبة في مكانٍ سهل العثور عليه ويُساعد ماكس على إيجادها بإعطائه تلميحات بصرية ومع الوقت تُخبأ اللعبة في أماكن أكثر صعوبة.

لقد أراد والدا ماكس أن يساعده على الشعور بالأمن عندما يكون في مكانٍ يصعب منه تحديد مصدر صوتيهما، ومثل والدي ول كان هدفهما أن يشجّعا حبّ الاستطلاع عند ماكس وفي نفس الوقت يخفّفان من قلقه وهو بعيدٌ عنهما. فبعد انتهاء فترة اللعب على الأرض كان لين وجوناثان يغريانه بالتدريج للدخول في لعبة جديدة وجدها ممتعة. في هذه اللعبة ينسحبان ببطءٍ إلى غرفةٍ أخرى ويبدآن معه لعبة «اعثر عليّ». وبتريديد بعض الكلمات المهدّئة والواضحة كانا يدفعان ماكس إلى اتباع خارطته الداخلية عن المنزل، وفي النهاية كان ماكس يصل إلى والديه مستخدماً عينيه وأذنيه وحاسة اللمس عنده لتمييز الطريق إليهما. إنّ رغبة لين وجوناثان في التفاعل مع ابنهما بطريقةٍ تدفعه عن طريق اللعب إلى استخدام حاسة البصر عنده قد ساعدته على تمييز بعض الأنماط البصرية والفراغية الموجودة في عالمه.

التحديات العائلية

الشعور بفقدان السيطرة.

يجد الكثير من الآباء والأمهات صعوبة في تقبل الشعور بفقدان السيطرة في هذه المرحلة من تطور الطفل. فقدره طفلك الجديدة على النهوض والذهاب لوحدها تضعف من سيطرتك المادية عليها وكأن توازن القوى الحذر بينكما قد اهتز فجأة. إن نمو استقلاليتها وقدرتها على حل المشاكل قد يُشعرك بعدم حاجتها إليك أو ربما برفضك من قبلها. يبالغ بعض الآباء والأمهات في الخوف على أطفالهم من الخطر الذي يهددهم عند كل زاوية ويستخدمون ذلك ذريعة لإعادة أطفالهم إلى أحضانهم مرة أخرى. يكون أحياناً من الصعب إحداث توازن بين حاجة طفلك إلى الاكتشاف وحاجتك إلى تهدئة مخاوفك. قد يكون من الحكمة وضع حدود تلعب الطفل ضمنها بحرية كأن تجعل في المنزل منطقة خالية من الأشياء المؤذية وتُشجعي طفلك وأنت مرتاحة على اكتشافها وبالتالي تحدين عدد المرات التي تقاطعين فيها تصميمها على عمل معين ولن تشعر بأنها تُدار من قبلك في كل صغيرة وكبيرة. عندما تضعين حدوداً لطفلك قد تغضب بشدة لا شعري بالإهانة بسبب غضبها فوضّع الحدود بسبب لها الغضب والإزعاج.

طريقة تبادل الأدوار في وضع الحدود للأطفال

إذا وجدت نفسك كثيرة التردد في وضع حدود لطفلك لأنك لا تريد معارضتها فقد يكون ذلك بسبب تذكري لطفولتك. قد تتذكرين التصاقك بوالدتك وقت النوم عندما كنت طفلة وتجدين صعوبة في ترك طفلك كل ليلة. حاولي أن تتجني التماثل مع طفلك إذا استمرت في القلق في مواجهة تعلقاتك، دعي زوجك يلعب دور واضع الحدود عندما يحين وقت النوم.

ولكن في بعض الأحيان يكون التصاق الطفلة الليلي بوالدتها دليلاً على أنها لا تتلقّى تفاعلاً وحناناً كافياً من والديها. أي أنها تعطيك إشارة تدلّ على حاجتها إلى المزيد من الحبّ والإعجاب واللعب معك على الأرض خلال النهار. لا تخلطي بين نموّ استقلالها الجسدي عنك والابتعاد العاطفي. إنها تحتاج إليك الآن أكثر من أيّ وقت مضى وعندما تبدلين جهديك في التواصل مع طفلتك طوال النهار ستكون أكثر استعداداً للانفصال عنك عند المساء.

وبشكل عام يجد الآباء والأمهات طريقة تبادل الأدوار مفيدة عندما يضطرون لوضع حدود لأطفالهم لأنّ كلاً منا لديه نقاط ضعف معينة قد تؤثر على طريقته في وضع الحدود. إنّ معرفتك بنقاط الضعف لديك لا يضمن أنّك لن ترتكسي بشدّة أو تتجنّبي بعض التفاعلات مع ابنتك، لذا استعيني بزوجك في الأمور التي يكون فيها قوياً أكثر منك فمثلاً إذا كنت تدرّسين رغبتك في التحكم بالأمور لن تتفاجئي إذا وجدت أنّ قيادة طفلتك لدراجتها في الحديقة سوف يُشعرك بالقلق، وفي هذه الحالة بدل أن تهزّي رأسك بكلمة (لا) في كلّ مرة تحاول فيها ابنتك أن تثبت نفسها دعي زوجك يراقبها أثناء لعبها في الحديقة.

إن الحدود التي تضعينها لطفلتك يجب أن تعتمد على حاجاتها وليس على حاجاتك. في بعض الأحيان يؤدي تدخلنا الزائد في حياة أطفالنا وحبنا الكبير لهم إلى أن نلغي بشكل غير مقصود الحدود بين متطلباتنا ومتطلباتهم العاطفية. إذا كنّا حذرين من مشاركة أطفالنا في جوانب عاطفية معينة فإن ذلك قد يوقعنا في مغبّة إشعارهم بأنّه لا يجب عليهم الإحساس أو التعبير عن هذه الجوانب. لذلك استعيني بزوجك أو أي شخص آخر ليساعدك في تلك الحوارات والمواقف التي تحتاج لوضع حدود للطفل والتي تشعرين فيها بعدم الراحة. الأمر المهم هنا هو أن لا تمنعي طفلك من الحوار معك في أيّ مجال كان.

الكوابح التي يضعها الوالدين والإحساس بالجنس

بما أنَّ سلوك طفلك وأنماط اللعب تصبح أكثر تعقيداً خلال هذه المرحلة فإن فرص سوء فهم أو تغيير نواياها تزداد. على سبيل المثال: من الطبيعي جداً عند الأطفال في هذا العمر أن يُبدوا اهتماماً بمعرفة الطريقة التي تعمل بها أجسادهم وأجساد غيرهم. وكما يحاولون فتح وإغلاق الأدراج ووضع المكعبات فوق بعضها وفتح صنبور المياه لكي ينظفوا أسنانهم فإن الأطفال في الشهر الثامن عشر من عمرهم يريدون أن يكتشفوا أجسادهم. وعندما يستكشف الأطفال أعضاءهم التناسلية يشعر الآباء والأمهات بالحرج وعدم الاستقرار وقد يتجاهلون عمداً سلوك أطفالهم أو يرتكسون بشدة ويزيدون من فضولهم. بعض الآباء والأمهات يثيرون بغير عمد أعضاء أطفالهم التناسلية كما يحدث مثلاً في لعبة الحصان. إذا أصبحت ملاحظتك لطفلك فوضوية زيادة عن اللزوم خففي من درجة الإثارة أثناء لعبك معها. كوني قريبة منها ووفري لها هزاً مهدئاً ومنتظماً. يجب أن تتأكدي من شعور طفلك بالهدوء والانتظام بدلاً من فرط الإثارة. إذا لاحظت أن طفلك مستغرق في إثارة نفسها وفري لها نشاطات بديلة مثيرة تمكّنها من التمتع بالحركة المنتظمة والاكتشاف. تذكري أن اهتمام طفلك بجسدها هو أمر طبيعي يشبه تماماً الاستكشافات الأخرى التي تقوم بها في هذه المرحلة من تطورها.

تعلم حل المشاكل

شجعي ابنتك على التفاعل معكِ لحلّ المشاكل ، ليس فقط تلك التي تريد حلّها وإنما أيضاً المشاكل التي تقدمينها لها. تبادلتي معها الكثير من الإيماءات أثناء سعيكما لحلّ المشكلة بما في ذلك الأصوات والكلمات والأفعال كأن يشدّ كل منكما الآخر في اتجاهات مختلفة.



المرح والألعاب

لعبة العمل المشترك

اكتشفي اهتمام طفلتك الطبيعي بألعاب معينة كالدمى أو الحيوانات أو السيارات أو الكرات... إلخ وافتعلي مشكلة تشمل أحد ألعابها المفضلة بحيث تحتاج إلى مساعدتك لحلّها. على سبيل المثال يمكنك أن تجعلي دهبها المفضل يهرب ويتسلّق رقفاً عالياً. سوف ترفع ابنتك ذراعيها لتصل إلى الدب وستومئ لك لترفعها لكي تصل إلى اللعبة وستستجيبين بسرور لطلبها. إنّ لعبة بسيطة كهذه تتضمن فتح وإغلاق عدة دوائر من التواصل أثناء حلّ المشكلة.

لعبة التقليد

قلّدي أصوات وإيماءات طفلتك ولاحظي إن كان باستطاعتكِ أن تدفعها لتقليد تعابير وجهكِ المضحكة وأصواتكِ وحركاتكِ وخطواتكِ الراقصة، في النهاية أضيفي كلمات إلى اللعبة ثم استخدمتي هذه الكلمات بطريقة هادفة لمساعدتها على تلبية رغباتها كأن تقولي على سبيل المثال «العصير» أو «افتحي».